



www.awu.sy

الأدب السوري

الثقافة
ثراء
وسيرة
لا تنتهي

25 ل.س

16 صفحة

"السنة الثلاثون" العدد، "1489" الأحد 2016/5/15 م - 8 شعبان 1437 هـ

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب في سورية

في مفهوم الشهادة والشهداء



بهذه المناسبة نتوجه إلى قواتنا المسلحة الباسلة، حماة الأرض والجو والبحر، بأسمى آيات التقدير، نحیی بطولاتهم التي صنعت لنا الاستقلال، ومكنتنا من التحرر.

• د. سليم بركات — ص 2

في تجهيل المجتمع العربي

لم يترك الاحتلال العثماني في الوطن العربي أي أثر علمي، أو حضاري تستذكره الأجيال اللاحقة، بل على العكس من ذلك؛ عمد العثمانيون إلى تجهيل المجتمع العربي، وتدمير تراثه الحضاري، والإنساني.



• محمد الحوراني — ص 3

في أهداف أدب الأطفال



أدب الأطفال هو شكل حديث من أشكال الأدب، يوجه إلى جمهور الأطفال، يهتم بميولهم واحتياجاتهم، ويراعي خصائصهم وقدراتهم، وطبيعة نماذجهم من الجوانب العقلية والانفعالية واللغوية.

• عبد المجيد إبراهيم قاسم — ص 12

في السخرية، سقراط ودون خوان

العقلانية هي محاولة عملاقة للاستهزاء بالحياة الذاتية، بالنظر إليها انطلاقاً من وجهة نظر العقل المحض.



• ت: علي إبراهيم أشقر — ص 13

• د. نضال الصالح



الافتتاحية

يحدث أن ..

وما أكثر ما يحدث!

يحدث أن يتوهم شبه موهوب بأنه «مبدع»، فيتختم العالمين الواقعي والافتراضي بكلمات دائخة شائخة، لا يربط بينها قصد، ولا تفيد معنى، ولا تنتهي في خاتمتها إلى شيء. يحدث أن يسمي هذا الشبه ذلك الهذيان شعراً، فيكون أي شيء سوى كونه كذلك، بل خواء موصول بخواء إلى أن ينتهي إلى خواء، وعندما لا يلتفت أحد إلى هذا الهذيان يجار بالشكوى، ليلاً ونهاراً وقياماً وقعوداً، أن ثمة حرباً تستهدفه من النقاد، ووسائل الإعلام، والأصدقاء الأعداء، والأعداء الأصدقاء. ويحدث أيضاً أن يكتب شبه موهوب، ما يعتقد أنه «رواية»، فيطوف بمخطوطها على غير ناقد وقارئ، وعندما يقول أحد له إنه بدد وقته وماله فيما لا ينفع، وأنه لا يبقى في ذاكرة القارئ من بديعته سوى ما كان وقت القراءة وحدها، يبدأ الهذر بشكوى لا تهدأ عن قوى مرئية وغير مرئية تستهدف «الإبداع» الذي تسفحه أوهامه على الورق.

ويحدث أيضاً أن يبلغ أحد سن الستين أو السبعين من العمر، ويكون أمضى عقدين أو ثلاثة أو أربعة وهو يكتب وينشر، ولم يعن أحد يوماً بما يكتب وينشر، فيتابع الكتابة والنشر مصراً، وملحاً، وموقناً، ومؤمناً، وراسخاً في العلم، علمه هو، أن ثمة قوى غاشمة ترصد به وبإبداعه، وأن القراء، القراء جميعاً، أحد اثنين لا ثالث لهما: جاهل، أو نصف متعلم.

ويحدث أن يباغتك «مثقّف» بما يقع على رأسك وقوع الصاعقة مما لم يكن ممكناً أن يخطر لك على بال أبداً، فتستعيد ما كانت العرب قالت: «أبدى الصريح عن الرغوة»، أي تكشفت الحقيقة بعد استنارتها.

ويحدث أن يجتمع ثلاثة أو أربعة.. أو عشرة من حملة الشهادة الثانوية أو الجامعية بدرجة مقبول، في ملتقى «ثقافي»، فيقرّر جمعهم «الكريم» منح المشرف على هذا الملتقى أو مديره درجة الدكتوراه، فيصفق «الدكتور» لنفسه، ثم يسارع إلى حجز غير مكان له بهذه الصفة الزيف في صفحات التواصل الاجتماعي.

ويحدث أن يهرف أحد بما لا يعرف، ويزعم أنه يعرف، بل يجادل من يعرف بحق، ويصّر على أنه يعرف، وهو ليس له من المعرفة سوى ما لبدائي في غابة مستغرقة في قطيعتها مع حركة التاريخ، بل مع ما قبل التاريخ، بأخر ما بلغته المغامرات الفكرية من التعدد، والتنوع، والغنى، والاختلاف، والأطروحة الجديدة والأطروحة النقيض، وسوى ذلك مما يحيل على غير صفة يصعب، بل يكاد يستحيل، على غير المختص في هذه المغامرة أو تلك عبور العتبة الأولى من قلاعها المعرفية العالية والمنيعة.

ويحدث أن يلغو أحد عن أحد، فلا يكتفي بالباطل، بل يمعن في اللغو حتى يداري الباطل وجهه حياء من معاجم اللغة لأنّ اللاغي يخرج بهذا الباطل إلى تخوم الإفك، والافتراء، والتخرّص، والهذاء، والتلفيق، والخلط، والفرية، وسوى ذلك مما ينتمي إلى المجال المعجمي والدلالي للباطل، بل يوغل في أرضها حتى يكاد يصيرها، فيرمي الآخر المختلف بما يوسوس له شيطان الغيرة، والحسد، والكراهية، والبغضاء، والغل، والشناعة، إلى أن يبلغ ذلك به ما كانت العرب قالت: «النار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله».

ويحدث، بل يجب أن يحدث، أن تنهض كل صباح، فتتفقد مفردات روحك، وتتأكد من أن كل مفردة لما تزل في مكانها الذي فطرت عليه، وأنه ما من مفردة أصابها عطب أو صداً، أو نال من خلقها الأول جرح أو تلف، وأن كلاً منها كما اخترت له أن يكون، وأنه ما من زيف، أو خديعة، أو خيبة، تمكّن من أن ينال من الإنسان منك وفيك. الإنسان، الإنسان، صورة الله وشبهه.

نحو مئة شخصية ثقافية عربية تصدر بياناً تضامنياً مع سورية

البيان التضامني مع الشعب السوري ضد القتل وفاشست القرن الحادي والعشرين

المدينة الزاهرة وعموم التراب السوري من تهديم وتخريب، تمارسه أطراف عدة من أجل تغيير خريطة المنطقة، وفق المصالح الجديدة لتجار الحروب، وأصحاب المشاريع التدميرية في المنطقة. وفي الوقت نفسه ندعو إلى أن تتأزر جميع الأطراف المحبة للحرية والثقافة وللمنجز الحضاري والسلام من أجل سورية وشعبها، دون انحياز لجهة أو طائفة

بعد أن اجتمعت اليوم كل قوى الظلام على مدينة حلب التاريخية، إحدى أعرق الحواضر العربية، أميرة المدائن، ونبع الجمال والفن والثقافة والإبداع. وبعد أن توغل في تدميرها ظلاميون، وقتل أهلها ووزع الشر فيها. لذا تناخى سدنة الحرف والكلمة وحراس الذاكرة وأهل الفن للتصدي لهذه الهجمة الشرسة، وها نحن ندين ما تتعرض له هذه

تلقى د. نضال الصالح رئيس اتحاد الكتاب العرب البيان التالي: تقف نخبة من أدياء الأمة العربية وكتّابها ومبدعيها وفنانيها وطلبتها المثقفة في كل أرض وهواء إلى جانب شعبنا الصامد في مواجهة أي عدوان عليه وانها تتصدى بكل الوسائل لأي تشويه يخلط الدم بالحليب، والتدي بالسراب،

في مفهوم الشهادة والشهداء

• د. سليم بركات

يطلق لقب الشهيد على من يقتل لتحقيق هدف يقدره قومه، واستشهد في الاصطلاح اللغوي تعني من طلبت شهادته لتأكيد خبر قاطع، كما تعني بذل الحياة لغاية ما، أما في الاصطلاح الشرعي فهي تعني من بذل حياته في سبيل الله دون غرض من الدنيا، وسمي شهيداً لأنه يكون يوم القيامة شاهداً على كل من ظلمه وعلى المنحرفين، والشهيد في الدين الإسلامي من يقتل أثناء الحرب مع العدو سواء أكان ذلك في معركة جهادية لنشر الإسلام، أم كان ذلك لدفع العدو الذي يستهدف بلاد المسلمين، يقول الله في كتابه الكريم " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم يرزقون" (آل عمران 169) ويقول الرسول (ص) "من قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون نفسه فهو شهيد" ويقول أيضاً "يشفع يوم القيامة ثلاثة، الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء" ومن سأل الله تعالى الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه" وفي المسيحية تطلق كلمة شهيد على كل من قتل بسبب تبشيره بالديانة المسيحية أو إيماناً بها، أما في الديانة اليهودية فهي تعني إرضاء الله بشكل كبير، والشهادة من أهم ركائز هذه الديانة.

في المعتقدات الأخرى، وعند العلماء والفلاسفة، تطلق الشهادة على من قتل دفاعاً عن معتقداته، يقول فيكتور هيجو: أسماء الشهداء أخلد للشهداء، ويقول شاتوبريان: (البطولة حتى الفداء واجب يؤدي في الأيام المشهودة) ويقول دانيال بيخ: (إن دم شهدائكم سيتفجر نوراً للشرق والغرب اللذين يلتقيان عندكم) ويقول ديميستين: (الدم هو عرق الأبطال) ويقول كاريل: (إن أرواح الشهداء تباركنا، وتنعش أرواحنا وتقوينا) ويقول مصطفى النحاس: (دماء الشهداء حياة الوطن) ويقول علي شريعتي: (الشهيد هو المخلوق الوحيد الذي يولد ولا يموت) وهناك من يقول: (إن الشهداء هم الذين وضعوا أسس الحضارة) وأن (أشرف الموت موت الشهداء). هكذا كل الشعوب تفتخر بالشهداء وتجلهم وتقدرهم من أجل أوطانها، ومن يكسب المجد وهو مرتاح على فراش من ريش دون نضال ولا تضحيات؟ نعم الأمم تبنى بدماء الشهداء، والشهادة أبلغ غاية يصلها الإنسان دفاعاً عن وطنه ووجوده.

يقول القائد المؤسس حافظ الأسد "الشهيد هو الإنسان الذي عاهد فصدق، دعاه الوطن فأسرع، قاتل فاستبسل، قارع



”

لنتذكر باستمرار أننا بتكريس التضحية كقيمة عليا في المجتمع، سنتمكن من هزيمة الغزاة والطامعين، وبهزيمة هؤلاء يتحقق النصر.

”

ويكون الاستنزاف، ولقد أثبت التاريخ وتطورات الأحداث أن السبيل الوحيد لاستعادة الحقوق المسلوبة، هو حشد الطاقات وزجها في معركة التحرير، وإذا ذهبنا بعيداً في أعماق الزمن، فإننا سنتذكر أبطال هذه الأمة، الذين قاوموا وانتصروا، نتذكر السابقين من أجدادنا الأبطال، لنواجه الغزاة كما واجههم، ولنقاوم الإرهاب كما قاوموه، ولنحذر الأعداء كما دحروهم، بهذا التصميم، وهذه العزيمة، نحسن أنفسنا ونحصن الوطن، ليبقى شامخاً بعزه وكبريائه. ما أحوجنا في مثل هذا الوقت، الذي نتعرض فيه لأبشع أنواع الهمجية الإرهابية، التي دبرها أعداء سورية، أعداء الأمة العربية، إلى تمثل قيم الأجداد، التي رسخها فينا التاريخ العربي، وهي تتوارث جيلاً بعد جيل.

لن نوفي الشهداء حقوقهم مهما بذلنا من جهود الإكرام والتكريم، لن نرتقي إلى كرمهم، وهم الذين جادوا بأرواحهم لنعيش أحراراً، دفعوا الغالي رخيصة، كي يصنعوا النصر لشعبهم، على الإرهاب ومصنعيه وداعميه، وفي مواجهة هذه الحرب الكونية الظالمة على سورية والأمة العربية استبسلوا، حتى أيقن الأعداء حتمية النهاية، وشيئاً فشيئاً أدرك هؤلاء الأعداء لحظة انهيارهم، لتكون صحوحة الموت التي يعيشونها اليوم، بجسارة بوسائل

العدو فأبدع، ومن أجل أن ينتصر الوطن والأمة، قرر الشهادة فاستشهد". إنه القدوة التي جسدت إرادة الشعب، من أجل أن يبقى بكرامته وقدسيته، إنه الشعاع الذي نهدي بنوره المتوهج المضيء، كي نحقق الطموح، ونثبت الإرادة، بتضحياته يسان شرف الأمة، كي تحيا الأجيال مستقرة هانئة مطمئنة، إنه الباني الأكثر أهمية للبناء، والهادي الأكثر هداية للأجيال، واجه الموت دفاعاً عن شعبه، جابه التحديات وقهرها من أجل أن يحيا وطنه، نحني الهامات إجلالاً واحتراماً له ولأعماله. ولما كانت طريقه طريق الخلود، فإن أنبل ما في الشهادة ذكراها، وتمجيدها، وتكريمها، والافتداء بها.

بهذه المناسبة نتوجه إلى قواتنا المسلحة الباسلة، حماة الأرض والجو والبحر، بأسمى آيات التقدير، نحني بطولاتهم التي صنعت لنا الاستقلال، ومكنتنا من التحرر، وجعلتنا في مستوى مقاومة الاستعمار، والاستغلال، والقهر، نحني بطولاتهم التي حافظت على سورية ورسالتها الوطنية والقومية، رسالة ستبقى أجيالنا تحملها بشرف وبطولة، في مواجهة تحديات الامبريالية الصهيونية الرجعية. ولنتذكر باستمرار أننا بتكريس التضحية كقيمة عليا في المجتمع، سنتمكن من هزيمة الغزاة والطامعين، وبهزيمة هؤلاء يتحقق النصر، وتتحرك الأرض،

”

في مواجهة الظلم والقهر تحتاج الشعوب إلى التضحيات، كي تحيي أمجادها وتحافظ عليها، وهذا ما تفعله سورية وهي تقدم ضريبة الحرية والكرامة.

في مواجهة الظلم والقهر تحتاج الشعوب إلى التضحيات، كي تحيي أمجادها وتحافظ عليها، وهذا ما تفعله سورية بلد الحضارات، وهي تقدم ضريبة الحرية والكرامة والإيمان بالقضايا العربية، وستبقى تقدم حتى تنقي الوطن من العصابات الإرهابية الممولة والمدعومة امبريالياً وصهيونياً ورجعياً، وحتى تصبح البلد القدوة في هذا العالم، الذي تمكن من دحر الإرهاب التكفيري بمختلف مسمياته، وصنوفه، ومعداته وداعميه.

إن الشهادة في سبيل الوطن هي شهادة سامية، وهي ميراث عربي عريق، لتحقيق الأهداف الوطنية والقومية، ميراث تناقله العرب جيلاً بعد جيل، بسبب الأطماع الاستعمارية في أرضهم، وفي موقعهم، وفي ثرواتهم، وخيراتهم، ولهذا الأسباب أصبح حب الشهادة عند العرب طبعاً ملتصقاً بشخصيتهم المميّزة بالرجولة، والشهامة، التي لا تقبل القهر والظلم، فالشهادة في النهاية عند العربي تمثل نسقاً سامياً للحياة النبيلة التي تميزه عبر التاريخ.

”

نقطة
على
حرف

• أ. مالك صقور

درس في الحماقة ..
درس في الحلم

أبي الطيب في نسبه إلى جهل الحساب. ولقد سقت لك هذا المثل، كي أقول وأكرر، كم تمنيت أن أصاب (بالعي) الذي كان باقلاً مبتلياً به، فالصمت أحياناً أفضل من الكلام، وإذا ما عدت إلى حديث الحماقة، أتذكر قول الإمام علي كرم الله وجهه: (لسان العاقل وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسانه).

بالمقابل يا صاحبي، أن من يستغضب، ولم يغضب، فسامحني إن قلت: إنه من فصيلة البهائم، أقول ذلك، ومعدرة من كل فئة العاقلين، ولكن:

دعني أحدثك يا صاحبي، بالمقابل، عن الحماقة والحمقى عن (الحلم)، وأنا تعلقت بقصة (معن بن زائدة) من الطفولة، هذا الذي اشتهر بالحلم، وصار مضرب الأمثال، فتصور أنه (ابن زائدة)؛ وجاء من يقول له (ابن ناقصة) ولم يغضب، واليك قصته:

تذاكر جماعة من العرب فيما بينهم أخبار معن بن زائدة، وأطنبوا في مديحه، وما هو عليه من وفرة الحلم ولين الجانب، فقام إعرابي، وراهن على إغضابه، طالباً مئة بعير، وأن يذبحوا له شاة، فأحضرها الشاة، فسألها، ثم ارتدى بإهابها، جاعلاً باطنه ظاهراً، فاجتمع على الجلد المسلوخ الذباب الأزرق، ولما يزل الدم ينز من الجلد، ثم دخل على معن وهو بهذا الشكل، يلوث السجاد والطنافس، والحشايا، ووقف أمام معن طافح العينين كالخليج، ينظر إلى السقف تارة، وتارة ينظر إلى الأرض، ومعن ساكت، ولما لم يقل معن شيئاً، قال الإعرابي:

أتذكر إذ لحافك جلد شاة

وإذ نعلك من جلد البعير

فقال معن: أذكر ولا أنسى يا أبا العرب.. فقال الإعرابي: فسبحان الذي أعطاك ملكاً

وعلمك الجلوس على السرير

فقال معن: سبحانه وتعالى:

فقال الإعرابي:

فلست مسلماً ما عشت حياً

على معن بتسليم الأمير

قال معن:

إن سلمت رددنا السلام، وإن تركت فلا ضير عليك

فقال الإعرابي:

سأرحل عن بلاد أنت فيها

ولو جاد الزمان على الفقير

قال معن:

إن أقمت بنا فعلى الرحب والسعة، وإن رحلت عنا فمصحوباً بالسلامة.

فقال الإعرابي:

فجد لي يا بن ناقصة بمال

فإني قد عذمت على المسير

فقال معن:

أعطوه ألف دينار..

فأخذها الإعرابي وقال:

قليل ما أتيت به وإني

لأطمع منك بالمال الكثير

فثنَّ فقد أتاك الملك عفواً

بلا عقل ولا رأي منير

فقال معن: أعطوه ألفاً ثانية.

عندها، تقدم الإعرابي إلى معن وقبل يديه ورجليه، ثم قال:

سألت الجود أن يبقيك ذخراً

فمالك في البرية من نظير

فمنك الجود والإفضال حقاً

وفيض يدك كالبحر الغزير

فقال معن: أعطيناها على هجوه ألفين، فأعطوه على مدحنا أربعة.

فقال الإعرابي:

جعلت فداك، ما فعلت ذلك إلا لمئة بعير رهاناً على

إغضابك. فقال معن: لا خوف عليك، ثم أمر له بمئتي بعير:

نصفها للرهان، والنصف الآخر له.

فانصرف الإعرابي داعياً شاكراً.

لكل داء دواءٌ يُستطبُّ به
إلا الحماقة أعيت من يداويها

إذن،

لا دواء لدائي - قال صاحبي - وتابع: ليست المرة الأولى التي أتهم بها بالحماقة والغباء والجهل أيضاً، وذلك لأن ألف قطار فاتني ولن ألحق الركب. مع ذلك، لن أسمح للندامة تتسلل فتنهش قلبي وكبدي.

قالوا عني أحمق يوم غادرت أوروبا، ولم ألصق (الدال) قدام اسمي، بسبب كلمة واحدة. لكن الكرامة كانت أعلى من كل أوروبا، يا ليتهم يعرفون!!

وقالوا عني أحمق لأنني لم أنتهر مئة فرصة، والفرص تقتنص اقتناصاً، وتناسوا أيضاً أنني متمسك بالمبدأ والكرامة معاً، وما أحلى الفقر، تجاه ما يفعلون!!

وقالوا عني أحمق يوم مثلت أمام اللجنة الفاحصة، وسئلت: أيهما تفضل الحديد أم الذهب؟ يومها فضلت الحديد، فأنفجرت اللجنة ضاحكة، إلا سيدة عليها الهيئة والوقار، قالت: علل ذلك!!

فقلت بالحديد نبنى البيوت، والمعامل، والأبراج الشاهقة، وناطحات السحاب، وبوساطته نقيم السدود، ونمد الجسور، ونسج الحدائق، ونحمي النوافذ، ومنه يصنعون المحركات، والسيارات، والدبابات، والقنابل، الخ...

أما الذهب الذي يزين الأصابع (ويخشخش) على الأيدي، ويطوق الأعناق ويتدلى على الصدور فلا يزيد الجمال ولا يوسع المعارف والعلوم ولا يشفي من مرضى ولا يطول العمر، وما كنت أعلم أن رصيد الذهب يصنع المعجزات وقذفوني بالحماقة أيضاً، لأنني لم أكن شاطراً كالآخرين، فلم اشتر شقة، ولا دكاناً، ولا سيارة، ولا عقاراً، كما هم فعلوا ويفعلون، بل اكتفيت بشراء الكتب والمجلات، وما زلت. ولهذا ما زالوا يرون أنني أحمق ولا شفاء.

وختم صاحبي قائلاً: مع ذلك لست نادماً.

•••

أخبار الحمقى كثيرة.. وأنا لست، بعيداً عن صاحبي، ولكن ثمة خطأ شائعاً، إذ يخلطون بين الحماقة والغضب، والانفعال. ولما كنت وما زلت شغوفاً بعلم النفس ومشتقاته، صرت أفرق بين الحماقة التي (أعيت) من يداويها وبين الغضب وشدته، وأسبابه. وقلت لصاحبي: كم تمنيت في موقف من المواقف أكون مثل (باقل)، الذي ذكره المتنبي فهل كان (باقل) أحمق، كما جاء في أخبار الأدب. أم أن سبياً آخر جعله المثل من أمثال العرب وأخبارها، وقال: حدثني عن (باقل)، فقرأت له بيت المتنبي الشهير:

من لي بفهم أهيل عصر يدعي

أن يحسب ألهندي فيهم باقل

وباقل، يا صاحبي، رجل من العرب كان يوصف (بالعي)؛ وفيه جرى المثل: (أعي من باقل). أما لماذا جرى مثل باقل، فأليك الخبر: يقال إنه اشترى ظبياً بأحد عشر درهماً، فقيل له بكم اشتريته؟ فغى عن الجواب بلسانه، ففتح يديه وفزق أصابعهما وأخرج لسانه، (يريد من ذلك أن يقول اشتريته بأحد عشر درهماً) فأصابع يديه عشرة واللسان الحادي عشر.

فأفلت الظبي منه والمتنبي الذي ضرب قصة باقل، يقصد ذم أهل عصره، لا باقل نفسه، ويقصد (بالهندي) هنا، هو علم الحساب، لأنهم قديماً كانوا يطلقون على (الحساب) -الهندي)، وهذا جاء ربما من الأرقام الهندية، ويقول النقاد، إن المتنبي يقصد بقوله هذا: (من يكفل لي بفهم أهل عصر يدعون أن ((باقل)) يعلم حساب الهند مع سوء علمه بالحساب؟ ويقصد أنهم جهال لا يعرفون الجاهل من العالم، ولا الناقص من الفاضل. أو، تقول: من لي بأهل عصر لا يفرقون بين العالم والجاهل، حتى ولو ادعى ((باقل)) بينهم معرفة الحساب لم يجد فيهم من يكذب دعواه. لكن ابن جنبي له رأي آخر: ((باقل هذا، لم يؤت من سوء حسابه، وإنما أتى من سوء عبارته، فلو هو قال أن يفحم الخطباء فيهم «باقل» أو نحو هذا لكان أسوغ، لكن الواحدي ردّ عليه قائلاً: «ليس كما قال فإن «باقل» كما أتى في البيان أتى من البنان، فإنه لو بنى من سبابته وإبهامه دائرة ومن خنصره عقدة لم يفلت منه الظبي، فصح قول

في تجهيل المجتمع العربي

• محمد الجوراني

”

إنَّ العثمانيين كانوا
الأسوأ بين محتلي
الوطن العربي
وغاصبيه، كما أنَّهم
مهدوا الطريق أمام
الاحتلال الأوروبي
للدول العربية.

”

تشكل ثقلاً، وعبئاً على الأمة ووحدها، وغدا هذا العصر، عصر الصوفية التي أطبقت على العالم الإسلامي من أدناه إلى أقصاه، ولم تبق مدينة، ولا قرية إلا دخلتها، وقد سيطرت الصوفية المنحرفة على العالم الإسلامي، في تلك الفترة، ووقع جمهور من المسلمين في أسرها، وعظم سلطان المتصوفة في ذينك القرنين، وبلغ مبلغاً عظيماً، لو لم يكن من قوته، ونفوذه إلا هيمنته على الجماهير الغفيرة وتجهيلها في طول البلاد وعرضها لكفى، فكيف إذا تبنته الدولة، وناصره الحكام، وكانت نظرة المتصوفة المنحرفة تحترم البطالة، وتبيح التسول، وتصطنع الضيق، وتسعى إلى مواطن الذل، وتغتبط بالهوان، وكانت نظرتهم إلى الأخذ بالأسباب منحرفة جداً، "فما أخيب التاجر الذي يصرف وقته في تجارته، والزراع الذي ينفق جهده في زراعته، والصانع الذي يبذل نشاطه في صناعته! وما أفضل من سافر منهم طلباً لكسب، أو رغبة في مال! فإن الرزق في طلب صاحبه دائر، والمرزوق في طلب رزقه حائر، ويسكون أحدهما يتحرك الآخر. وإذا ما استثنينا التتر، والمغول، فإنَّ العثمانيين كانوا الأسوأ بين محتلي الوطن العربي وغاصبيه، كما أنَّهم مهدوا الطريق أمام الاحتلال الأوروبي للدول العربية، فالقبائل التركية التي اجتاحت جحافلها الدول العربية، كانت تفتقر لأبسط المقومات الحضارية، والإنسانية، وليس هذا بمستغرب على الدولة العثمانية التي قامت في أساسها

”

الشعر والغموض

• د. غسان غنيم

بمكنا الشعر من إدراك الوجود، فهو أسلوب بوح وكشف... ففي الشعر يتجلى العالم عالمًا، بما يوفر من إمكانية بروز وعي أشمل لفهم الوجود الذي يعيش فيه البشر.

"هايدغر"

يشكو معظم الشعراء المعاصرين من أزمة في تلقي الشعر الحديث والمعاصر... ويتهمون الجمهور غالباً، وتقوم دعاوى الكثيرين منهم على أن الناس قد انفضوا عن الشعر. وأن جمهور الشعر، يكاد يقتصر على نخبة منتقاة، بل يدعي بعضهم أن الشعر منذ وجد الشعر، كان ذا جمهور ضئيل.. هو جمهور النخبة. بل يدعي بعض الشعراء أنه لا يريد من الجمهور سوى هؤلاء النخبة. بينما تقوم دعاوى آخرين على أن المتلقي قد تحول جله عن الشعر إلى القصة أو الرواية، وأن الزمن هو زمن رواية وسرد.. لا زمن شعر وقصائد.

ولكن بعض الدارسين رأوا أن الأمر يتعلق بطبيعة الشعر المعاصر، وابتعاده المتعمد عن أذواق المتلقين وعاداتهم في التلقي، بل في ابتعاده عن الفهم أحياناً، واستغراق الشعراء في أجواء بعيدة، وذاتية. بعيدة عن اهتمام المتلقين، وتعتمد الغموض والإبهام، على حساب الرؤى القادرة على البث والإيحاء.. والدلالة والفهم.. والموسيقا التي يعدها كثير من المتلقين، لازمة الوجود مع الشعر.. فما الغموض..

أولاً- ظاهرة الغموض:

ليس الغموض في الشعر أمراً طارئاً بشكل مطلق في الشعر العربي، فقد وقف الكثير من النقاد القدماء أمام بعض القصائد، يعيدون شرحها وتفسيرها، أو أمام أبيات، حاروا في فهم مراميها /المتنبي/، وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حي أبوة يقاربه...

ومعروفة تلك المواقف التي قسّمت النقاد بين أبي تمام والبحتري، والمتنبي وخصومه، إضافة إلى بعض شعر الصوفيين الذي امتلأ بالأحاجي والمعضلات.. فأفردت له الكتب للشرح والتوضيح. وقد رأى فريق من نقاد العرب القدماء، أن الشعر يقوم على الغموض، وخفاء المقصود، من مثل الراغب الأصفهاني، وابن سنان، وهما ممن فضل أبا العلاء المعري، ووصفاه بالفصاحة، واستدلوا على ذلك بأن كلامه غير مفهوم لكثير من الأدباء.. ويرى أبو اسحق الصابي "أن طريق الإحسان في منثور الكلام. يخالف طريق الإحسان في منظومه، لأن أخطر الترسل هو ما وضح معناه، فأعطاك غرضه في أول وهلة، سماعه، وأخطر الشعر ما غمض فلم يعطك غرضه إلا بعد ملاحظة منه، وغوص منك عليه". (1)

وقد يشكل أبو تمام الظاهرة الأكثر وضوحاً في مسألة التعقيد والغموض في الشعر العربي القديم، فقد بدا الشعر معه

أكثر عمقاً وغوصاً وراء المعاني البعيدة، وبدا واضحاً معه تغير لغة القصيدة، من لغة بسيطة مسطحة، إلى لغة يسودها التناثر والتضاد والجدل وابتعاد قطبي التشبيه، المشبه والمشبّه به، وهما أساس الصورة في الشعر العربي القديم. ولم يعد الشعر معه وصفاً مسطحاً، بل بات تركيباً تتداخل فيه أشياء كثيرة، من فكر وفلسفة، ورؤية تنتظم الكون والحياة ولا يقتصر هذا على أبي تمام وشعره، بل ينطبق على شعر أبي العلاء المعري وبعض شعر أبي الطيب المتنبي، بالإضافة إلى الكثير من الشعر الصوفي. إن تمييز النقاد القدماء بين لغة الشعر ولغة النثر، يشير إلى أنهم قد التقطوا جوهر العملية الشعرية، فليس مهمة الشعر كما رؤوا أن ينقل الأفكار بوضوح وسلاسة، فهذه المهمة أتيق بالنثر والترسل على حد تعبير أبي اسحق الصابي، لأن مهمة النثر الأولى أن ينقل لنا الأفكار بوضوح، ويشرح، ويقدم كمية من الأفكار والمعلومات ولكن الشعر، ليس مهتماً بهذا كله، فهو وإن نقل بعض الأفكار إلا أن مقصده الأول ليس هذا. فهمته خلق الجمال وخلق معادلات جديدة واكتشاف علائق تزيد الحياة غنى وجمالاً وشرافاً. يبدو الشعر الحديث كثيفاً يشبه غابة لا حقلًا مكشوفاً، نقض في أوله فنرى آخره، غابة فيها الكثير من الأضواء والظلال، والنباتات والشجر، فاللوحة مكتنزة مختلطة، لا تكشف عن نفسها من نظرة سريعة.. والشعر الحديث مركب، تختلط فيه ثقافات متعددة، وحالات نفسية واجتماعية معقدة، ولا يستطيع المتلقي أن يفهمه منذ الوهلة الأولى، ومن القراءة الأولى، ووسيلة التواصل معه ليست الأذن والوجدان فحسب، بل العين، والحدس والمشاركة الشعورية أيضاً.

فهو أشبه بالموسيقا، وليس باللوحة المرسومة. فهو قادر على أن يمنح المتلقي أجواء وظلالاً وليس معنى جاهزاً، بل يمنحه جملة من التخمينات المفتوحة غير النهائية التي تقترب من الإحساسات. وليس من المعاني.

إن ظاهرة الغموض التي يستشعرها متلقو الشعر الحديث تكمن في جزء منها في أساليب التلقي الشعري لديهم، والتي ما تزال تقرأ الشعر بعقلية قراءة النثر، وتبحث عن كمية الفوائد، وكمية الأفكار الكامنة خلف الكلمات فقط، فقد اعتاد كثير من متلقي الشعر أن من يقرأ الشعر الحديث بطريقة قراءة البحث الأدبي مثلاً، أو كتب التاريخ والجغرافيا، باحثين عن أكبر كمية من المعاني. فكلما كانت كمية المعاني الموجودة في الشعر أكثر، كلما أمتعهم ذلك الشعر أكثر.

وما دام هؤلاء يتلقون الشعر الحديث

بالبطريقة ذاتها التي يتلقون بها النثر، وبالموقف النقدي ذاته، سيظلون يستشعرون غموض الشعر الحديث، الذي لا ينطلق مبدعوه من نظرية التبليغ، ولا ينظرون إلى الشعر على أنه حامل أفكار ومعاني فقط، يسعون لنقلها إلى أذهان المتلقين، بل يرون أن الشعر خالق أجواء، يثير هالات من الأحاسيس غير المحدودة، فهو فن وليس علماً.. ويثير هالات من المعاني غير المحددة تحديداً صارماً.

وإذا بدأ المتلقون يتلقون الشعر وفق هذه النظرة سيستشعرون بزوال إبهام الشعر، وغموضه والتباسه. فغموض الشعر الحديث يمكن بعضه في المتلقي وطبيعته وعاداته في التلقي وليس في الشعر بذاته غالباً.

وإذا ما كان الشعر الحديث يصدر عن الحالة الراهنة، وهي الأكثر تعقيداً واشتباهاً واشتباكاً، فمن الطبيعي أن يكون الشعر معقداً وصعباً، ففهم الواقع المعقد، لا يتم بنظرة عابرة إلى الكون والأحداث والتداعيات التي يحياها إنسان هذا العصر، مع الانتباه إلى أن العملية لا تتم بطريقة انعكاسية.

ولنا أن نسأل سؤالاً مهماً، هو: هل هناك فرق بين الغموض والإبهام؟ يختلف الغموض عن الإبهام. فالغامض: هو الشيء، المستتر الذي يمكن اكتشافه ومعرفته، والكلام الغامض هو الخفي الذي لا يبين معناه لأول وهلة.

أما الإبهام فهو ما يقع خارج إطار الفهم، فالإبهام هو المحجوب الذي لا مأتى له، وإذا استبهم الكلام فقد استغلق. (2)

وهكذا فإن الغموض في الشعر شيء وقد يكون مقبولاً لأنه كالخمار الذي يشف فيزيد جمال الوجه جمالاً. أما الإبهام فيحجب كل شيء وراءه. ولكن من أين يتأتى كل منهما..؟ يرى أمبسون صاحب كتاب "سبعة أنماط من الغموض" "لندن 1930"

إن "الإبهام - صفة نحوية بصفة أساسية. أي يرتبط بالنحو وطريقة تركيب الجملة. في حين أن الغموض "صفة خيالية تنشأ قبل مرحلة التعبير المنطقية، أي قبل مرحلة الصياغة اللغوية النحوية..." (4)

وقد يتأتى الإبهام من طبيعة الرموز المستخدمة في القصيدة، وقد بات الرمز مكوناً أساسياً في لغة القصيدة الحديثة والمعاصرة. فإذا كانت تلك الرموز ذاتية، أي تتحصل من حالة بعيدة الغور- مستعصية، لدى الشاعر، ويصعب عليه إخراجها بشكل دقيق، ولا يستطيع توضيحها، فتأتي مبهمه لا توحى ولا تبث. بينما ينتج الغموض عادة عن الطبيعة

”

مهمة الشعر خلق الجمال

وخلق معادلات جديدة

واكتشاف علائق تزيد الحياة

غنى وجمالاً وشرافاً.

”

التخيلية التي تقوم عليها اللغة الشعرية. يقول محمد عمران في مجموعته "الدخول في شعب يوان": "أفلاطون ينبت في حذاء محارب سقراط رأس فوق هامة جندب الطفل يولد، ثم يكبر في ثوان، ثم يصبح سيداً

قارون شحاذ

وقابيل قتيل

ووجه يوسف أحذب

هلين عذراء

وهارون يصلي نصف عام ثم يغزو نصفه الثاني

مسيح في يهوذا

كيمياء تبدل الأشياء

عيارون، سحر

مضحك ميبك ولكني بكيت وماذا غير أن أبكي (5)

إن مسحة الغموض التي بدأت في بداية المقطع حتى ما قبل آخره.. تتأتى من قلب الشاعر للمقاييس. وإشارة دهشة المتلقي وحيرته وتساؤلاته.. كيف يتم ذلك.. وهذا من حسنات الشعر.

ولكن عدم ثقة الشاعر بالمتلقي، وخوفه من عدم قدرته على التواصل معه جعله يضيف السطر الذي يبدو ناشراً في سياق المقطع الشعري "كيمياء تبدل الأشياء". فالمقطع كله يشير إلى قضية انقلاب القيم، واستنكار الشاعر لذلك في هذا الزمن الذي عكست فيه المفاهيم.. ولكن إضافة السطر الأخير كسر غلالة الغموض، ومال بالمقطع نحو شيء من الإبلاغية التي يهرب الشعر الحديث منها غالباً.

يقول أدونيس في مقطوعة سماها "حجر الضوء"

على حجر الضوء أنقش عمري

وديعاً كحبة قمح،

يغطي حروفي ضباباً

وفي كلماتي عتمة

لأنني حب

أظل على الضوء أبني، وتبني

معي حفنة من حياتي ولقمة. (3)

فثمة غموض جميل يشوب المقطعة..

د. حسن حميد

بلاد المعجزات..!

منذ خمس سنوات زرق،

والحنين يطوح بي مثل ورق جاف، أو فزاعة تدور في حاكورة نائية، يشيل بي إلى عوالم الرواء / المعنى، والبهجة الساحرة، والأمان/ الضفاف، وصباحات الخير والنور، والأحاديث العوافي، والهدأة الشاسعة، والأحلام المديدة، والأصدقاء/ الحياة، والحارات/ الألفة، والدروب الحائيات، والظلال الرخية.. كيما استل من تعاريف الشوك المدمي التي راكمتها السنوات الخمس فوق روعي.. نسمة هواء طيها الندوة المشتهاة!

منذ خمس سنوات زرق،

لا شيء من طمأنينة المكان، بعدما صار كابوساً رابعاً، وحالاً طارئة، وترحالاً أليماً، ومواقع ذكريات بعضها يدفع بعضها الآخر نحو وهادات الخوف والظلمة الهالكة، وأسى يتوق لافتكاك نفسه من قبضة الشر الباطشة، ونداءات خافتة مرسله على شكل همهمات وغمغات لعل ما كان... يعود إلى ما كان عليه؛ لعل الأبواب التي كانت تفتح بالمؤانسة تبدو أو تبين، لعلها تشدنا إليها باللهفة الكاملة، أو لعل خطانا التي اعتادت الدروب الموصلة إليها تخادع العقل أو تراوده.. فتعزبه لتمضي بنا إليها.. كيما نمسح دمعها المتهاطل من ذلك الحين طيناً له لون أبعد من السواد! ولعل الشبابيك التي كانت تواقفنا، ونواقفها، لنرى الشرفات، وعرائش الياسمين، وحبال الغسيل، وأرجحة الثياب، وزهو الألوان، والدوالي وهي تمد أذرعها الأمليد من بيت إلى بيت... تأخذنا إليها بهتافها المدوي كحل حائر/هائج/ حزين! لعلنا، ومن خلف هذه الشبابيك، وبالحدز الكامل، نرى تحليقات طيور الحمام التي تحيط البيوت بدوائر النور الحارسة، لعلنا نرى أسطح البيوت، وقد غدت عند الغروب ملاعب للمحبة، والتمتمات، والخطا الراقصة، والنظرات الحالمة، والأشواق المرسله، وفي الجوار صواني رب البندورة، ومربيات القرع، واليقطين، والمشمش، والكبار، والسفرجل وهي تفترش الزوايا، وتلوذ بأفياء الأسوار الواطئة! يا لتلك الأسوار الواطئة، ويا لتلك النظرات القافزة من فوقها، وعلى عجل، ويا للرضا حين تلاقي الروح روحها! وفي الجوار القريب أيضاً كراسي القش الصغيرة، وقد فرغت من جلأسها، تقص حكايات الليالي السالفة، وتروي أخبار الغائبين والحاضرين، مثلما تروي قصص العشق الراجفة! لكأن الكلام هناك يرن مثلما ترن دنانير الذهب!

منذ خمس سنوات زرق،

والأزمة كتلة هلامية ثقيلة، تماهت الحدود بينها، فما عادت نهاراتها النهارات البانيات، وما عادت لياليها الليالي الساحرات. ما عاد الصباح هو الصباح، وما عادت الأزهار هي الأزهار، ولا القهوة هي القهوة، وقولة صباح النور ما عادت هي هي، والابتسامات أراها بكل الوضوح تتشقق عنها الوجوه بالكاد، وأوقات الغروب الأسرة بظلالها ما عادت ترى، وطيور الحمام التي تغلق مدار الغروب بتحويماتها البديعة ما عادت تثرى، وقصص العشق التي توقد نيرانها الألف الشرفات والشبابيك هي الأخرى ما عادت تثرى أو ثقال! والقناديل المضيئات، حارسات السهر الشهي، ما عادت تثرى ذبالتها الراقصة! كم استطالت الأزمنة وترهلت، كم ثقلت، وتجددت!

ها هي أمامي، أراها مثل ثلج جميد، بادية، طويلة طويلة طويلة.. وفاحمة! وموجعة تسيل الألم في العروق، وبأذرعها الطوال الدامية توقد الأحران في الأمكنة! يا لهذه الأزمنة، كم تهفو الروح، والانتباهات، والعيون اليواقظ.. لمحو عتماتها، وإزاحة ثقلها، وإعادتها إلى عالم الضوء، والتوثب، والجمال!

منذ خمس سنوات زرق،

والأرواح مشدودة إلى الهدأة! لكننا طيور تبحث عن هدأتها، لكننا الوجوه التي تبحث عن مراهاها، أو لكننا الندى الباحث عن الصباحات، والعشب، والورد، وأشجار الغار، والزيتون! لكننا الجولان الفوار الذي تعب من المشي والركض المتلاهث، وقد حنت نفوسنا للإياب بعدما طال عليها وقت المساء الرجيم! لكننا طيور السنونو الباحثة عن أعشاشها وسط البيوت!

منذ خمس سنوات زرق!

شققتنا الظروف، والجارات، والأحران، وفرجة الناس علينا، وخذلان الأهل، واللامبالاة بالدم، والبكاء، والموت والخراب، والنائحات /النادبات، والفقد، والمرامد، والمقابر، والدروب الجديدة، التي شققها الأقدام والدموع، إلى المقابر الجديدة التي غدت قرى أو حقولاً شاسعات! شققتنا النظرات الشامته، والأقوال الخائبة، والكتابات المطفأة، والعقول الخربة، والتأويلات /المسخ، والهاويات، والمكائد، والاستدارات، وتهافت التهافت، والإذاعات، والصور، والكذب، والافتراءات، والمخادعات، والدعاوى الباطلة، والرطانة الفارغة، والمصائد الخبيثة، والعطش القاتل!

منذ خمس سنوات زرق،

ونحن طي اللهب، والعذاب، والفرز، والخوف على الولد، والدار، والحقل، والدرج، والطيور، والنبعة، وشجرة السدر، والنشيد، والأغنية، والكتاب! ونحن طي ظن الآخرين، والأقربين، والأبعد، بأننا ماضون إلى المرمدة! لكن، يا لهم، وبالظنهم! وهم الذين لم يتفطنوا إلى أن هذه البلاد هي بلاد المعجزات؛ هي البلاد التي يسكنها البشر الذين لا تقوى الحروب، والجوائج، والملمات، والحرائق عليهم.. وأن كل ما حدث من ألم، وقتل، وجوع، وانتظار، وخوف، ودمار، وأسئلة سيصير علامة وهاجة من أجل فجرنا الآتي؛ الآتي لا ريب! بل سيصير لوناً راهجاً.. لا بد!

ماذا عن السبب

د. اسكندر لوقا



توفيق الحكيم

في السادس والعشرين من شهر تموز 1987 توفى الكاتب المصري المعروف توفيق الحكيم. وبطبيعة الحال كان لا بد أن يعرب قراؤه الكثر عن مشاعرهم حيال هذه الوفاة بالعديد من المواقف والمقالات والدراسات وسوى ذلك من منظومة

المشاعر التي تصيب

الإنسان عندما يعلم برحيل أحد عظماء التاريخ في حقل العلم أو الفن أو الأدب.

بعد وفاة الحكيم بثلاثة أيام، أذكر أنني قرأت معلومة نقلتها إحدى الصحف الخليجية عن الرئيس المرحوم سليمان فرنجية وفيها قوله أن توفيق الحكيم من مواليد بلدة زغرنا في لبنان وأبقى ذكر بقية التفاصيل، إلى الأيام القادمة. بيد أن رحيله أبقاها طي الكتمان حتى الساعة.

ونحن نعلم أن العديد من متتوري البلاد العربية، بينها سورية ولبنان، رحلوا إلى مصر في زمن الحكم العثماني هرباً من المضايقات بينها القتل والسجن. وهناك لعبوا دوراً بارزاً في إحياء الفكر العربي القومي لا الفكر الوطني فحسب، فأسسوا الصحف والمجلات وبينها الأكثر شهرة صحيفة الأهرام ومجلة الهلال ومجلة روز اليوسف..

كذلك نحن نعلم أن توفيق الحكيم الذي كتب رواية "عودة الروح" وتأثر بها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، هو ذاته التي كتب رواية "عودة الوعي" التي جاءت بمثابة تبرير لزيارة الرئيس أنور السادات إلى الكيان الصهيوني غير مكترث بمشاعر العرب الذين حاولوا أن يقتنوه بأن زيارته هذه سوف تجلب المزيد من المتاعب للعرب، وهذا ما حدث.

إن هذا التباين في الموقفين، بين روايتي "عودة الروح" و"عودة الوعي" تراه عما يدل؟ وما هو سببه؟

البعض قال إن القضية قضية منفعة شخصية لها علاقة بالكسب المادي أو الاقتراب من السلطة، والبعض قال إن القضية قضية قناعة، وآخرون قالوا المسألة لها علاقة بالعمر وما إلى ذلك من مبررات لا يمكن أن تغطي انحراف أديب كبير كتوفيق الحكيم على هذا النحو، لأسباب لم يأت هونفسه على ذكرها أو تبريرها.

مع هذا يبقى توفيق الحكيم ظاهرة أدبية، تحطت حدود مصر وكان لها حضورها في الأوساط الأدبية والثقافية في معظم دول العالم. ومع بقاء هذه الظاهرة يبقى السؤال حاضراً حول مكان ولادته، في زغرنا اللبنانية أم أين؟ بقيت التفاصيل المتعلقة بسبب عدم ذكرها في جعبة الرئيس اللبناني الراحل سليمان فرنجية، ولا أحد يدري إن كان ثمة ما يجيب عن السؤال بين أوراق قد يكون تركها الرئيس فرنجية في مكتبه قبل رحيله.

إميل حبيبي كما عرفته

• د. فاروق موسى

كنت قريباً من الرفاق أقرأ صحافتهم وأتابع نشاطهم، ولم أكف عن قراءة "الاتحاد" في سني تدريسي الأولى، حيث لا تكاد أيامها تجد معلماً يجروء على قراءة الصحافة الشيوعية بصورة علنية، وأحياناً كنت أشارك خطيباً على منابرهم، فليبعلوا البحر! غير أن الخطيب الذي كان صيته مدوياً، وكان صوته كذلك كان إميل حبيبي.. .. إميل حبيبي الذي أقرأه، هونفسه أبو سلام، جهينة، أو أبو الشمقمق.. كنت أعجب بإعجاب الناس به وتقديرهم له، ولم أكن أعرفه شخصياً.. .. عندما كنت فعالاً في تأسيس الحركة التقدمية كانت سخرية حبيبي تصل إلى الأوج، وظني أنه هو الذي قاد الحملة على الحركة الوليدة، تارة يسميها "المتكديمت" - الكلمة العبرية للحركة التقدمية - وبالطبع فهو يغمز على تبعيتها للسلطة، وطوراً يتهمنا مباشرة بأننا رباب السطة. ومن المفارقة أن السلطة حاولت جاهدة أن تلغي القائمة، وكان ذلك يؤلمني، فكيف يتهمنا رفاق الدرب بما ليس فينا؟! أذكر أنني استخدمت بيت الشعر في إحدى مقالاتنا التي تدافع عن الحركة، والبيت هو للحلاج :

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له

إياك إياك أن تبتل بالماء

فكان إميل يعود إلى البيت مرة بعد أخرى ليسأل سؤاله: وما الذي أجبركم على هذا السلوك؟ وبدا تحفظي من هذا السلوك في الحزب حيث التسلط، ودعوى انفراده بقيادة الجماهير العربية، بل أذكر قبل ذلك، أنني أصدرت مع مجموعة من الأدباء مجلة "مشاوير" وقد صدرناها بتحية للصحافة الشيوعية التي هي أستاذتنا ورفيقة دربنا، ولكننا بعد أيام قرأنا في كلمة لـ "الاتحاد"

..... ولكم مشينا المشاوير وتسلقنا الأسوار فما ثبت إلا نحن".

ثم إنني كنت من مؤسسي "رابطة الكتاب العرب" المنضوية تحت تجمع "اتحاد رابطات الكتاب في إسرائيل". طلبت الاجتماع بإميل، وشرحت له إمكانية مطالبنا بحقوقنا ضمن هذه الرابطة، كأن نحصل على جوائز تفرغ، وأن نحصل على منح للكتب التي نضدها.

تحمس إميل لكلماتي، ونهر شخصاً كان يرافقتي (ومع ذلك كان في الجلسة يسخر مني، أو يغمز علي)، فليقتن أن أبا سلام جاد، وأن اختلافنا السياسي لن يحول دون تعاوننا.

وعرفت فيما بعد أن الحزب اجتمع بهيئاته واتخذ قراره أو توصيته بتأسيس اتحاد الكتاب العرب؛ سمح القاسم رئيساً، وفاروق موسى نائباً للرئيس، ومحمد علي طه سكرتيراً.. ..

عند تأسيس الاتحاد جلس على المنصة إميل حبيبي وتوفيق زياد، فيما قاطع عدد من الأدباء هذا الاتحاد (بعد ذلك أسس بعضهم رابطة الكتاب الفلسطينيين)، بدعوى أن هذا الاتحاد اتجاهاً شيوعي محض، ولم يشفع لي كوني عضواً في اللجنة المركزية للحركة التقدمية التي تبنت هذه الرابطة، فألغيت نفسي خارج الحركة، وقادوا حملة شعواء علي خاصة، وعلى اتحاد الكتاب عامة.

أعترف لكم أن قصص سداسية الأيام الستة لإميل كانت في مقياسي الأدبي عادية لا تتميز بنفس روائي (ذهب الناقد حسني محمود إلى كونها رواية؟؟؟)، بل لم أر فيها النفس القصصي فنياً. كنت أسميها "كتابة" أو "نصاً جميلاً"، وبالطبع فإن كل خرزة فيها لقطات رائعة وطيبة. وهكذا كان رأيي في "الوقائع الغربية - المتشائل" التي قرأتها

كذلك بالعبرية والإنجليزية.

كنت وما زلت أعجب لهذا السيل من الإطراء لأدبه، وبهذه الدعوات له لحضور مؤتمرات هنا وهناك باعتباره روائياً متميزاً. قلت في نفسي: العيب قد يكون في، وفي ذوقي، وإلا فلماذا يمدحونه بعد كل نص ينشره... اهدأ يا ولد!

من جهة أخرى كنت أعزي نفسي عندما أستمع إلى خطبة له هنا وهناك، فلا أجد - شخصياً - تماسكاً في العبارات، أو تأصيلاً أو توثيقاً دقيقاً، أو لغة مناسبة. كانوا يصفقون ويصفقون في إعجاب متناه، وأنا أقلب الأمور، وأعجب. قلت في نفسي: "ومن أنت حتى تخالف الناس كلهم؟ اهدأ يا ولد!"

ثم إن إميل زارني في بيتي أكثر من مرة. كان يعرف تحفظاتي، ولكنه كان يتقبل كل ملاحظة: تارة بسخرية، وطوراً بصراخ، أنا يوافقتي ويتبع ذلك بنكاته وضحكاته... .. وإميل كان كثيراً ما يلا حظني مطرقاً وهو يخطف، فيفاجئني في معمعة الخطبة: "شورايك" "مالك" احكي.... مش عاجبك؟؟؟ (يمد الألف).

كرر ذلك في أكثر من موقف. وبالطبع كان يحصد التأييد تصفيقاً وبسمات، فيحمر وجهي وأسكت.

قلت له بعد أن أصدرت كع "ما هذه الرواية؟"

كان يجلس على مكتبة بالاتحاد فقال: "كلكم لا تفهمون النص".

وتطراً التحولات في منهج إميل..... اعترف بها فيما بعد، وبعد ذلك برز نشاطه ضمن لقاءات التعايش الإسرائيلي الفلسطيني، فكان يلتقي اليسار الإسرائيلي، وقد عقد هو ويورام كانيوك اللقاءات والحوارات. كان إميل فيها مترجماً جيداً، وكان يطلب مني أحياناً أن أساعده، فأتترجم، ولا حظت أنه راض عن ترجمتي رغم أنه كان يصوبني هنا وهناك.

أما روايته سرايا "بنت الغول" فقد كتبت نقداً عنها رفضت كل الصحف أن تنشره. فكيف يصح أن تنقد مثل هذا الكاتب الكبير؟

يومها عرفت أن لبعض الكتاب هبة لا يصح أن تمس.....

كنت أرجو من إميل أن يقدم لنا نصاً عن سيرة حياته، أن يتركز على شخصيته هو بكل ما فيها من ذكاء وطموح وإيجاب وسلب، لأن تاريخه شئنا أم لم نشأ - هو تاريخ مرحلة. كنت أريد أن أقرأ كتاباته سلسلة شأنه وهو يحدث. وكم بالبحري إذا استبدت به سورة الشراب، ففاضت أشجانه وجمحت خيالاته.

شاركته كثيراً في لقاءات مع الأدباء اليهود، وكانوا يرنون إليه بإعجاب منقطع النظير، وكنت أسكت بدعوى "رحم الله امرءاً قال خيراً فغنم.....". أذكر أن معهد "جبعات حبيبية" قد كرمه، وكانت سهام داود سكرتيرته بصحبته، فما أن أبديت ملاحظة على ملاحظاته حتى قالت بقسوة: "ماذا يعنك أنت؟ أنت شاعر فقط أنت لست ناقداً، فترك النقد للنقاد."!

أعترف لكم أن قصص سداسية الأيام الستة لإميل كانت في مقياسي الأدبي عادية لا تتميز بنفس روائي.

أذكر أنني نشرت مقالاً تحفظت فيه من حصوله على جائزة إسرائيل (نشر في "نداء الأسوار") فقال لي باعتزاز: "وسأحصل على جائزة فلسطين أيضاً (كان ذلك قبل حصوله حقاً عليها).

كان إميل في أواخر عهده يكثر عن الحديث عن الديمقراطية، وتجربتي معه في هذا السياق أرويه:

كتبت قصيدة "عصام السرطاوي يقرأ في أسفار العودة"، واستخدمت فيها نبوءة للتعايش السليم فقلت: "ماتي)، (أوري) رمزاً إلى واحة يمكن".

أصر إميل - إذا شئت أن أنشر القصيدة - أن أغير اسم (أوري) - بسبب علاقته السيئة مع أوري أفنيري - وأجعلها (يوسي) - يقصد يوسي أميتاي.

في لقائي الأخير قبيل وفاته ببضعة أسابيع كان إميل قد أعجب بقصيدة لي قرأتها أمامه - "أغسل خوي"، وهي تسخر من المتدينين المتزمتين. طلب من سهام - وكنا في مقر مجلة "مشارف" أن تنشرها، وقال لي بنوع من الاعتزاز: "أبو عمار: هذه المجلة لكم..."

كان أبو سلام يحدثني عن بعض الأدباء العاقين الذين أنكروه قبل صياح الديك.

كان مؤنساً رقيقاً ومتفانلاً. ولكنه ما لبث أن توقف، وأخذ يشكو أمامي بشدة وحرقة: "الموت يأتي معلى..... ولكن لماذا هذا الألم؟ لماذا هيك الألم؟"

عندما سجي جثمانه في ساحة الكنيسة في الناصرة قلت في نفسي: وقد كانت حياتك لي عظات فأنت اليوم أوعظ منك حياً

أقبل الشاعر محمود درويش في زيارته الأولى بعد اغترابه، فاستقبلته مع آخرين، وما لبث أن أخذ طريقه إلى أبي سلام، وكنت إزاءه، وقد لاحظت كأن جفنيه انفتحا، وكأنه يرمقه للحظة، ثم أغضى.

"نشيد البجعة" هو مصطلح يعني الطاقة الإبداعية وذروتها قبيل الوفاة، ولكنني لدى إميل استمتعت بثلاثة أناشيد:

1 - أذاع التلفزيون مقابلة كان قد سجلها قبيل وفاته، فعرفت عمق النظرة وقوة الحجج وسطوع البيان. ما هذه العظمة!.

2 - نشرت مجلة مشارف في عددها الأخير (مايو 1997) "ذكريات سراج الغولة ولا تطفنوا هذه الشمعة"، فعرفت أننا أمام عملاق أدبي نافذ. تقرأ الكتابة وتدهشك بقدر ما تقول لك أنت لا تعرف شيئاً. هذا رجل قلمه متميز، ورب قول أنفذ من صول.

3 - شاهدت فيلماً التقطوه له قبيل وفاته، فعرفت فيه الوطني الحق الأصيل.

لقد أخذت أحبه واحترمه كثيراً، فهل ثم ضرورة للعودة إلى كل كتاباته لتقييمها من جديد؟!

نصر الدين البصرة:

لا أتصور مثقفاً سورياً أو عربياً منقطعاً عن التراث

• حوار: سلام مراد



نصر الدين البصرة كاتب وباحث وإعلامي سوري ولد ونشأ في دمشق، تربح على ترابها وأحب جمالها وعشق تاريخها وأبحر مع مدينته وبلده سورية في صفحات التاريخ، لذلك أحب التراث وعشق الكلمة ودخل في تفاصيل الكتابات والأدبيات في التاريخ والتراث العربي والعالمي.

كانت له أيام جميلة مع الصحافة من خلال عمله بالصحف والمجلات الصادرة في سورية ومنها صحيفة الثورة ومجلة التراث العربي كما كان من المؤسسين الأوائل في اتحاد الكتاب العرب في سورية.

له صوت خاص رخيم ونحن نسمع صوته من خلال برنامج إذاعي يبث من إذاعة دمشق، حياته ومسيرته الثقافية ممتدة لذلك هو شاهد وهو تاريخ حي للحركة الثقافية في سورية، ومن أجل ذلك كان لنا معه اللقاء الآتي:

• ما الظروف والأحوال، البيئية التي دفعتك إلى القراءة والكتابة والثقافة بشكل عام؟

• اهتمامي بالقراءة والثقافة والكتابة بشكل عام كان منذ سنوات الطفولة، عندما لفتت نظري؛ مكتبة والدي الغنية بالكتب العربية والأجنبية خاصة الفرنسية، ولكنني التفتت إلى قراءة الكتب العربية، فأحببت الكاتب المصري الكبير (محمود تيمور)، وكان والدي يمتلك مجموعة من أعداد مجلة (الهلال) المصرية القديمة الأولى، فقلبت صفحاتها لأقرأ قصصاً للكاتب المشهور المذكور، وبعضها كان مترجماً من اللغة الفرنسية.

• بأي الكتاب السوريين والعرب والأجانب تأثرت ومن منهم أحببت؟

• من الكتاب السوريين (علي طنطاوي، علي خلقي، فؤاد الشايب، حسيب كيالي).

ومن الكتاب العرب (محمود تيمور، عبد الرحمن الشراوي، عبد الرحمن خميس، عباس محمود العقاد، توفيق الحكيم، طه حسين، يوسف إدريس...)، في الحقيقة الكتاب المصريون الذين أحببتهم كثير.

ومن الكتاب الأجانب أحببت بصورة خاصة الكاتب الروسي العظيم (أنطوان تشيخوف) والكاتب (نيقولا غوغول).

وأذكر أن معظم الروائيين الروس خرجوا من معطفه ويشيرون إلى روايته المشهورة (الناقة) وهناك بالطبع (مكسيم غوركي) مؤسس الواقعية الاشتراكية في الأدب العالمي، هؤلاء هم الكتاب العظماء.

• حيناً لو تحدثت عن المشهد الثقافي والسياسي السوري في الخمسينيات؟

• في الواقع كان مشهداً حافلاً، قد تكشف ذلك بصورة خاصة في مجلة (النقاد) الأدبية الأسبوعية والتي كانت المجلة الأدبية الوحيدة في سورية والتي استقطبت معظم الكتاب والشعراء السوريين وفي الوقت نفسه كانت بمثابة مدرسة لتخريج الكتاب وبينهم أنا نصر الدين البصرة كاتب القصة القصيرة (وباسين رفاعية) و(زكريا تامر) إضافة إلى

الكتاب الكبار الذين نشرت المجلة أعمالهم مثل (صميم الشريف) و (حسيب كيالي) و(سعيد حورانية)... الخ. كان المشهد حافلاً في الحقيقة وكانت هنالك (رابطة الكتاب السوريين) في الخمسينيات التي ضمت عدداً من الكتاب السوريين واحتفل بتأسيسها صيف عام 1954، وسميت منذ ذلك الوقت بـ (رابطة الكتاب العرب) وضمت عدداً كبيراً من الكتاب المصريين واللبنانيين والفلسطينيين إضافة بالطبع إلى الكتاب السوريين والعراقيين، وقد كان الاحتفال كبيراً بتأسيس هذه الرابطة في نادي (أبولون) في القصاع.

• كيف كانت بدايات الإذاعة السورية والبرامج الأقرب إلى القلب والبرامج التي أنجزتها؟

• في الحقيقة بدأت علاقتي بالإذاعة السورية عام 1952 وكنت في ذلك الوقت طالباً في معهد دار المعلمين في السنة الثانية

بطاقة

وُلد نصر الدين البصرة في دمشق سورية، حي مئذنة الشحم في 15 آب عام 1934. كان عمره قرابة سبعة أعوام عندما توفى والده المربي والفيلسوف والأديب السوري سعيد البصرة إلا أنه ورغم قصر الفترة التي واكبه فيها تأثر به كثيراً حتى أنه عندما أنهى دراسته الثانوية بدأ بدراسة الفلسفة ليتخرج في جامعة دمشق حاملاً إجازة في الفلسفة والدراسات الاجتماعية.

اشتغل في التعليم الابتدائي والثانوي مدرساً للفلسفة واللغة العربية في دمشق وبيروت. إلى جانب رسالته التدريسية عمل بالصحافة في أواسط الخمسينيات فكان محرراً وأمين تحرير لعدد من الصحف الصادرة في دمشق: صوت العرب والوعي والصرخة والطليلة والرأي العام.

نال في 1955 الجائزة الأدبية الثانية في مهرجان وارسو الدولي للشباب والطلاب عن قصته «أبو دياب يكره الحرب». وكان رئيس لجنة المحكمين الأدبيين في مهرجان الشاعر المشهور ناظم حكمت.

كتب القصة القصيرة والشعر العمودي وقصيدة النثر والدراسات الأدبية السينمائية والتاريخية وله مقالات كثيرة منشورة في الصحف السورية والعربية. منذ عام 1952 يقدم برامج إذاعية وما يزال يقدم برنامجاً ثقافياً في إذاعة دمشق يذاع صباح كل يوم أحد في الساعة العاشرة والنصف بتوقيت دمشق. كما قدم وشارك في تقديم كثير من برامج التلفزيون العربي السوري. أعارته وزارة التربية عام 1966 فعمل في جريدة الثورة الدمشقية معلقاً سياسياً ومحرراً رئيسياً، ثم أمين قسم الدراسات. ورأس بعد ذلك قسم الأرشيف، وتولى أمانة تحرير الجريدة حتى عام 1969 حيث أنهت إعارته وعاد إلى وزارة التربية السورية للتدريس.

”

كان تأسيس الاتحاد عملاً كبيراً وأكاد أقول إنه المؤسسة الثقافية الوحيدة التي ليس لها شبيه في جميع الأقطار العربية.

”

وكانت الدراسة ثلاث سنوات في هذا المعهد، وكان هنالك برنامج أسبوعي يسمى بـ (ركن الطلبة) يقدمه الشاعر الفلسطيني (عصام حماد) وكانت بداية مشاركتي الإذاعية في هذا البرنامج حيث قدمت وأخرجت عدداً من التمثيليات العربية التاريخية كموقعة (القادسية واليرموك) وكنت أقتبس تلك الأعمال من التاريخ وأكتب منها صفحات ويأتي زملائي إلى منزلنا لنقوم ببروفات وتجارب على النصوص ثم نقصد دار الإذاعة في موعد محدد نسجلها في هذا البرنامج، بعد ذلك أصبح لي نشاط مركزي في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات حيث قدمت برامج متنوعة مثل برنامج (عجائب من العالم) وكان هذا البرنامج ذا اتجاه تمثيلي شاركني فيه العديد من الممثلين ثم تابعت المسيرة وقدمت العديد من البرامج الأسبوعية والثقافية مثل

مجلة (الأدب) ومن ثم أصبح لي نشاط يومي في الإذاعة أقدمه من منزلي بوساطة الهاتف، والآن أقدم برنامجاً أسبوعياً اسمه (أوراق وذكريات) في الساعة الواحدة ظهراً من كل خميس من إذاعة دمشق.

• وماذا عن تاريخ تأسيس اتحاد الكتاب العرب وما رافقه من إصدارات ونشاطات على الصعيد السوري والعربي بوصفك من الرعيل الأول؟

• كان تأسيس الاتحاد عملاً كبيراً وأكاد أقول إنه المؤسسة الثقافية الوحيدة التي ليس لها شبيه في جميع الأقطار العربية، وكان لها مثيل في الدول الاشتراكية فقط كالاتحاد السوفييتي ودول المعسكر الشرقي الاشتراكي، هكذا كان المشهد الثقافي في هذا المجال.

رافق تأسيس الاتحاد نشاطات وإصدارات هامة، وصار يصدر مجلة شهرية (الموقف الأدبي) ومجلة فصلية (التراث العربي) و(الأدب الأجنبية) والمجلة الأسبوعية (الأسبوع الأدبي) التي أكتب فيها الآن، والعديد من الكتب المختلفة التي كانت في معظمها ذات طابع أدبي.

• ما سبب تعلقك بالتراث وما الذي تتذكره في فترة عملك رئيساً لتحرير مجلة التراث العربي في اتحاد الكتاب العرب؟

• أعتقد أن هذا الشيء أمر طبيعي لا أتصور على الإطلاق مثقفاً عربياً أو سورياً منقطع الصلة بالتراث، بما فيه من نتاجات عظيمة أو تكاد تكون هابطة أحياناً، نحن اليوم في بنائنا الفكري والثقافي ننتمي لهذا التراث، تمثل هذا التراث والتأثر به يختلف بين كاتب وآخر، فهناك كتاب محافظون، وآخرون يحاولون أن ينحوا في كتاباتهم منحى الأدب والثقافة العالمية، وفي جميع الأحوال يجب الاهتمام بالتراث لأنه جزء لا يتجزأ من تاريخنا، ثانياً لأن فيه طرفاً وجماليات ليست موجودة في الأدب العالمي، مثل مجلدات (ألف ليلة وليلة) المجلدات الأربعة الحقيقية؛ و(تراث الجاحظ) في كتابه (الحيوان) وسواه، وما تبقى من تراث أبي حيان التوحيدي، ونجا من الحريق الذي أصاب العديد من مؤلفاته، ومقامات الهمداني. هذه الكتب بصرف النظر عن أنها من التراث إلا أنك تشعر بمتعة خاصة وأنت تقرؤها.

• الصحافة والثقافة في سوريا ما لها وما عليها وما علاقتها بالسياسة؟

• وضع الثقافة والصحافة الآن لا يسر صديقاً.

• ما الذي تريد أنه تقوله للكتاب والقراء السوريين؟

• أقول لهم: في هذه الفترة الحرجة والصعبة كان الله في عوننا جميعاً ولا جدل أن الصبر من المميزات التي حبانا الله بها، مشاريعي لم تكتمل بعد، الآن أقوم بترتيب مكتبتي وإعادة النظر في المحاضرات والمقالات والكتابات التي تراكمت لدي على مر السنين وهذه في الحقيقة عمل في منتهى الصعوبة والعسر، أرجو أن يعينني الله على إنجازها.

الشهيد

• نبوغ اسعد

كأنك قد سعدت إلى السماء
على جنح جميل من ضياء
يسير الغيم خلفك في دلال
وتمشي الشمس ترفل بالحياء
تمد الروح في الدنيا وتمضي
فتجعلها سبيلاً للعلاء
أيجروا ابن أم أو غريب
فيجهر بالضعافن والعداء
وحول الأرض شيء لا يضاهاه
وسور قد تسامى بالدماء
تخاف الحرب منه والمنايا
إذا الأقوام لبث للنداء
وأرضك تملأ الدنيا بهاء
مكرمة تباهت بالفضاء
أتذكر عندما كنا جميعاً
نحدث بعضنا وقت الشتاء
ونحكي عن بلادي ما لديها
وعن أرض تبادر بالعباء
ومدفنة تساءلنا جميعاً
إذا الغدار جاء على البلاء
فيلقى من رجال الشمس طعناً
وان ناديت لبوا للنداء
تعودنا على شرف أبي
نوثقه على شرف الدماء
لنحرس أرضنا أرض الإباء
ونفرض كل يوم بالجلء
سيرحل ذلك الباغي ويمضي
فيمضي خلفه كل الوباء
لقد وفيت عنا كل دين
وما خبيت أهلك بالرجاء
أيا فتدليل دنيانا وداعا
ويا رمز المروءة والسخاء

• عدنان اسمندر

صباح الخير يا أرض الشام
مقام العز في بلد الكرام
هنا (الجينات) ولدها سموخ
تعاضم من مقارعة الزوام
هنا بدء الكلام .. هنا رموز
يفيض ضياؤها مثل الغمام
فأرض الشام تنبذ كل فكر
معاد للمحبة والسلام
فلا دين يقر بقتل نفس
بلا ذنب توثق بالتمام
بريء (أحمد) من فعل قوم
رؤوسهم أصيبت بالسقام
عقول مثل جرن في فلاة
مليء بالقذارة والحطام
لجأهم كلما طالت دليل
بزعمهم على مسك الختام
هم من شجرة الزقوم حصراً
وأبناء الجهالة واللئام
وحوش (الماسونية)، من بغايا
رفعن راية فوق الخيام
بريء (أحمد) منهم ولكن
هناك مؤسسات في الزحام
تراهم (مسلمين) وإن أساءوا
وإن قتلوا بعمد وانتقام
وإن حرقوا وإن صلبوا سيمحي
إذا ذكروا الشهادة باحترام
تراث قد أباح القتل شرعاً
لكل معارض ضرب الحسام
ففي القرآن أكثرهم ضلال
على غير الهداية والثوام
هم الملك العضوض لكل حكم
يخيم فوقه شبغ الظلام

حماة مقدسات؟! كيف هذا؟

بدا الإسلام مهجوراً غريباً
سببى هكذا حتى القيام
ولن يبقى له أثر معلى
سوى الاسم العظيم بلا احتكام
من القرآن يبقى محض رسم
ويؤخذ ما تشابه باهتمام
بنو (نحس) الحجاز ذوو فجور
ومفرخة التطرف والحرام
لهم دين مضى التفسير فيه
إلى نفي يسير بلا لجام
ومن يرفض تحلى الرأس عنه
لتنهشه الوحوش مع الهوام
فليس المصطفى منهم قريباً
ولكن (عبد وهاب) الطغام (1)
هم الأعراب قد صنعوا كياناً
مجوسياً يهودي الزمام
فيا أرض الحجاز كفى قبولاً
لمن طعن النبوة بالسهام
مليك راح يعقبه مليك
سليل خيانة للغدر حام
حماة مقدسات؟! كيف هذا؟
وهم أس الرذائل والسخام (2)
ونحن نخلة العذراء سراً
وأنتم كالتحالب في الركام
هنا شعب له جذر عميق
ذوابته مصابيح العظام
تسيل دماؤنا ونظّل نحيا
بنور الشمس يسطع في الشام

الطغام: أزدال الناس

السخام: الحقد

هذي البلاد

• إبراهيم عباس ياسين

لك الأغاني . لك النيات والوتر
والبيئات من الآيات والسور
لك الأغاني . ابتداء القول . يا امرأة
تأتي فينهل من أجانها المطر
فالشعر يبدأ من عينيك رحلتك
والأبجدية من كفيك تنحدر
تأتين . كل نهار ضاحك فرحاً .
وفوق كل ظلام طالع قمر
وحيثما غيمة من عطرك انسكبت
صمت الينابيع بالإنشاد ينفجر
يخضر كل يباس ، فالمدى ألق
ويعشب الرمل عشقاً . يورق الحجر
يا مشتهى النفس .. يا حلماً ألود به
فليس يدركني شر ولا ضرر
لم يبق من فرح إلاك فاشتعلني
فجراً نبي الروى بالضوء ينهمر

وتولدي من منايا ليلنا وطناً

بالحب والأمل الوردي يعتمر
ضاقت بنا الأرض . ضاقت كل أمنية
الأغنيات . البلاد . الظل والشجر
والبحر كم ضاق . كم ضاقت مراكبنا .
فليس تعرفنا الشيطان والجور
لا نجم يهدي خطانا بعد ، لا جبل
تاوي إليه إذا ما مسنا خطر
كأنما الأرض والدنيا على سفير
الله كم ملنا الترحال والسفر!
من أين تبتدئ الأفلاك دورتها ؟
وكيف يولد من رحم الدجى قمر ؟
ونحن أسرى ظلام موحش وردى
كالتريخ يعوي .. وكالتعاون ينتشر ؟!
أسرى الممايك . أسرى كل شرذمة
تعافها الأرض ، كل الأرض ، والبشر

والأبقون تمادوا في ضلالتهم

وباسمه - جل - كم خانوا وكم غدروا!
هم المغول . مغول الوقت . لعنته
هم السلاجقة الأوغاد والتتر
ماذا ؟ أيسعفني قول بوصفهم
إليك جدي ، أمير القول ، أعتذر
باعوا الإله .. وماتت آدميتهم ..
" فإن جلهم .. بل كلهم بقر "
لكنهم كغشاء السيل يا أبتني
قل قليل هم .. حتى وإن كثروا
وهم دخان . سراپ زائف . وصدي
هم الهباء الذي لا بد مندثر
هذي البلاد صلاة الله . منذنة
من ياسمين . دعاء ليس ينكسر
لابد من آية للشمس في دماها
تنهل عطراً وبالأعياد تنتشر .

... طيور وأسئلة جارحة إلى حلب وأخواتها

• عبد النبي تلاوي

سلام على من يحب السلامة
في شفتي طيور وأسئلة جارحة
نصف قلبي دم
والبلاد تراودني للرحيل
دمي يحمل الآن أكفانه بيديه
وصمتي الذي يقرأ الفاتحة
سلام على القلب مذ أكرته البلاد
استراح وما أن أن يستريح
يعذبني وجه أمي....
يسابق حزن القصيدة في دفترتي
حين تغدو الحروف ضماداً يلف
الفضاء الجريح
سلام على المدن الذاهبات إلى الحرب
في كل كف سيوف تغني
وفي كل غمد غلام ذبيح
سواد هو الأفق
هذي البلاد
تراقص أعداءها بثياب الحداد
وتولم أطفالها للغزاة
وتضحك من نبأ المجزرة
وفي كل يوم قتيل شهيد
ونعش جديد
فمنذا يغني لشمس الصباح
وفي كل صبح لنا مقبره
تقوم الجيوش
وتصحو الوحوش
ويأتي الدمار وتأتي النعوش
وأحصى نزاعات اهلي وأهلي
لأكتم رغم الجراح أنيني
فيا دولا رفعت رايتي
وباعت دمي
بالمزاد ارحميني
ومن طعنة الظهر أمشي
إلى طعنة الصدر أمشي
دموعي أمام عيوني
وظلي يسابق نعشي
ولا شيء يمنح رأسي الأمان
المواعيد كاذبة

والعواصم ضاحكة
والعدو يعد لمؤتمر للحداد
ومن ضفة القبر أعدو
إلى ضفة القبر أعدو
وأسألكم من يهيل التراب على جنتي
بت أخجل من أمة
عقلها ضائع
وتجارها يذبجون البلاد
لمن ينعب اليوم
هذا زمان الخرائب
ما غيرتنا الليالي ولا غيرتنا
الصباحات
لي خنجر يتمرى
نطفة من رماد علي
ويدخل في لعبة المرحلة
من يسمي البلاد بأسمائها
كي أغني نشيد أبي المتأبط أحرانه
في الظلام
البلاد على صدره صخرة
والدماء على ظهره أسئلة
من يسمي الصحارى
لأخذ من رملها نخلة وأعلق قلبي
على صدرها عورة فاضحة
للطيور مواعيدها....
فاشربوا بحرکم
واتركوني أرمم صدع الظهور التي
تنحني
بحجار القصور التي عتقت بالجرار
دمائي نبذا
..... لأعيادنا المخجلة
تنوحين مضجوعة يا بلادي
وقلبي حصاة على مفترق
تبعثرها الريح من كل صوب
وينتابها كل ليل أرق
تعددين لي خمرة كي أغني
فيسكرني الدمع قبل العرق
وأقرأ في سكرتي نعوتي
فألقى دمي عالقا بالورق

ياما أحببت رجوعك للدار

• طالب همّاش

لم يبق سوى صوت الريح
على شبّاك الليل
وآخر أغنية تهتز على إيقاع الحزن النائم
في (حزينة) ريق رقرقه!
لم يبق سوى رجوع الريح
ووجهك مجروحاً يتراءى في المطر الضائع
يا رقرق عيونك
ما رقرقت لغربتنا غير الدمع
أضعناك وأتعبناك
وعلمناك تدب على درب الليل
فسافرت كلحن وداع مكسور
يشقيك فراق الدار وتشتاقه!
لم يبق سوى روح مترعة
بممرات الغربية
تكتب بالدمع على سطر الحسرات المجروح
مراثي مثخنة بالأشجان
وأوجاع قلوب مشتاقه!
يا رقرق دموعك...
تشتووك الرخرخة المنغومة لأصابع
المطر البردان
فينساب أساك سخيّاً بين الحسرة
والإشفاقه
سرت بعيداً وتركتناك
تبيع الأشعار المنسيّة في أسواق الغربية
آه يا بن حفا في الحنطة
كيف الشوق بعيداً عن وطن الأعشاش
يعاش؟
كان ينام على تسريحة شعرك
عصفور الشمس الأشقر
مغموراً بالدفء
ووشوشة الشجن النائم في الأعشاش
والآن تهيم وحيداً في صحراء الوحشة يا
همّاش!
ريبتناك كشتلة (ريحان) في أحواض الدار
ومرجحناك كفرخ الطير مع الأشجار
فحلقت بعيداً
آه يا طيران الهدهد في الواحات
ألم يشجيك حفيف الريح الراحل
في حقل نخيل؟
وثقيل قلبك في ميزان الحزن ثقيل!
مات كثير من حزنك بين منايه الليل
ولم يبق سوى عصفور
يبكي وقرب مخدة دمك
من جعل الترحال بعيداً،
وطريق الهجرة يا ليل طويل؟
ضيّعت طريق العودة كالغرباء
وأوغلت عميقاً في الغيم
ولكنك آخر ساعات الليل

تعود لتنقر شبّاك البيت،
وتخطر في الببال كمّوال هديل
ياما أحببت رجوعك للدار
ولو أغنية
تملاً شبّاك العشق مواويل
ياما أحببت رجوعك يا زهر الحنطة في
الصيف
لتملاً بالزيت فوانيس السهرات،
وتملاً بالضحكات فضاء الليل!
وتشرع شبّاك الدار على أجمل إشراقه
يا رقرق عيونك والدمع الهاطل يا
رقرقه!
يا رقرق دموعك بين الغربية والأغراب!
علمناك زراعة بستان الحزن،
وشتلات اللوز على ترع الدمع
فلم تعقد أزهارك باللوز
لماذا لم تعقد يا شجر الأحباب؟
كغريب تجلس قدام البحر
وتسأل عن أسباب رحيلك
لكنك لست تجاب
كل عذابات الناس لها أسباب
في الغربية
إلا أسباب عذابك ليس لها في الأيام
جواب!
آه على عنة حزن من مزمار مجروح يا
زريب!
لكأنّي أسمع صوتك في هدآت الليل
يرن وراء الباب.
ياما أحببت رجوعك مثل أغاني العودة
من باب الدار المفتوح على الغياب!
ورسمت على شمس المغرب اسمك بالسكّين
فسال دم المغرب (سكراناً) منساب
كم أغنية تشتاق إلى صوتك
يا ذا الصوت الطيب
كم تنهيدة ليل تنتهنه بين شفاك
يا بن الخضرة والأعشاش؟
يا همّاش رحلت وراء نعوش الليل
وشيعناك بعيداً في الوحشة
والوحشة ليس تعاش!
وتظلّ تهيم وحيداً
في صحراء العزلة يا همّاش.
في الغربية من يطرق بابك
حين تطيل سامة ساعات الليل عذابك؟
من يؤنس روحك
حين يحين موات الأحلام
ويرحل آخر أصحابك،
من يحرس يا قرّة عين الباكين غيابك؟

إشراقه روح

فاطمة صالح صالح

تبدأ الشمس فرداً جدانها على سفوح التلال، وقمم الجبال الخضراء، التي بدأت أصابع الربيع تهز عطاءها من كثفيه، فتخضر روحها، وتمشي إلى حيث خلقت له.. ينساب النور على صفحات روحها، وعلي شرفة منزلها المتداعية.. أشعة ناعمة تولد هذا الصباح، ذهبية، كأنها بداية نضوج سنايل القمح.. ترقرق أجنحة الكينا، وتصفق وهي تستقبل الشمس، كأن أوراقها لائى ترقرق في روح أنتى عاشقة.. قبل طلوع الشمس، نهضت (محبوبة)، قاومت إغراء النوم قليلاً، وخرجت إلى شرفة الفجر، تلتقط من سحره أنفاسها الرطبة.. تنفضت بعمق، عدة مرات.. عبت كل ما تستطيع من رحيق.. وزفرته غنيا بالكربون.. انتعشت أوردتها، وشعرت بالمزيد من النشاط يُعش روحها، راحت ترقرق بأجنحتها الخمسينية، كأنها ابنة عشرين، رقصت ملامح وجهها الأسمر، كأنها سنايل حنطة يؤرجحها نسيم الفجر الأخضر، فتلوح له بسمرتها الناضجة.. ذهب الفجر إلى شرفة أخرى في هذا العالم، وانسال الشعاع الذهبي على أسطح المنازل البعيدة والقريبة، في محيط (محبوبة)، لم تأبه كثيراً للمدة الزمنية التي استغرقها مسيرها الباكر، من أقصى غرب الشرفة، إلى أقصى شمالها.. لم تأبه لبلوغها الخامسة والخمسين، قبل عدة أيام.. لا بد أنه أصبح لحياتها معنى.. لا بد أن وجودها صارت له قيمة مجدية في هذه الحياة.

لوحاتها، التي تحرص على التوقيع عليها باسمها (الجميل)، مركونة في زوايا منزلها البعيد، تحثها على الاستمرار، تدفنها دائماً إلى الأمام.. الأمام.. أم.. أم.. وهل هناك أمام وخلف، حين تكون الحياة مفعمة بالعطاء..

كل لوحاتها، كانت مستوحاة من وجه صغيرها (صباح) الذي رحل، دون أن يكون لها سنداً على الحياة، بل أضاف إلى أعبائها أعباء مضاعفة..

تقفز إحدى لوحاتها من مكانها، وتجلسي القرفصاء أمام مبدعيتها، كأنها طفلة تداعب أمها، وتبادلها الفرح.. تمشح (محبوبة) على شعر الطفلة، وتضم رأسها، وتمنحها قبلة صباحية دافئة..

أذار يحضن الكون، ويحضن روح (محبوبة).. تشعر بحنانها الذي رافقها منذ أن وجدت ذاتها.. تمتلئ بالنشاط، والهمة.. وتبدأ العمل.

إنها تعرف قيمة حياتها، الآن، وقيمة عملها، وتدرك أكثر من أي وقت مضى، معنى أن تكون إنسانة، ومعنى أن ترسم طريق حياتها، كما تريد هي، وكما يسعدها.. كيف تتأقلم مع ظروف حياتها، مهما كانت قاسية.. وقد أفلحت في تحويل ما هو سلبي، إلى إيجابي، كما تراه.. وهل تنضج السنايل، إلا بعد أن يمر عليها فصل من الحرارة الشديدة..!

منذ سنوات، كانت (محبوبة) قد استيقظت من كوابيسها، لتسأل نفسها :

من أنا..؟

أين كنت قبل قليل..؟

أين زوجي معتز..؟

وهل أنا متزوجة، حقاً..؟

أين تالة، وهالة، ابنتي..؟



أين قبر طفلي المسكين، صباح..؟ وكيف تكون لي ابنتان، دون أن أكون متزوجة..؟ وهل هذا بيتي، حقاً..؟ وماذا يمتلك من مقومات البيت..؟ الجدران الإسمنتية..؟ والسقف..؟ والغرف الواسعة..؟ والشرفة، التي تطل على الطبيعة الجميلة..؟ وهل كل هذا كاف لأن يكون بيتاً لأسرة كانت حلمي..؟ البيت وطن صغير..

أبعدت عن رأسها كل فكر سلبي، يمكنه أن يثبط همتها، أو أن يعيدها إلى نفس الدائرة المغلقة، التي كانت مسجونة فيها، وتدور حول نفسها وهموما دون قرار، مدة تجاوزت الثلاثين عاماً.. ترحمت على طفلها ذي الإحتياج الخاص، واقتنعت، وهي تنظر إلى صورته الحبيبة، أن عينيه الصغيرتين، تحثانها على المزيد من تحقيق ذاتها :

- أكون سعيداً، كما تمنيت لي، يا أمها، في حالة واحدة.. أن تكوني أنت سعيدة....

قبلته من جبينه، ومن خديه، ولا مست شعرة بأصابع أمومتها، وضمته إلى صدرها، قبل أن تركز الصورة في مكانها المفضل :

- سأحقق رغبتك، يا بني.. لكن.. ابق معي..

- أنا معك، يا أمها....

- أعرف يا صغيري.. ولن يهمني، بعدها، سخط أبيك، أو نظرة الشفقة، أو الاستخفاف، من أي أحد في الكون..

ضحكت الصورة، وانبثق النور من عيني صباحها..

تناولت الريشة والألوان، وبدأت ترسم مشاعرها....

تناست أنها وحدها.... بل، لم تعد وحدها... صباحها يرافقها.. ويساعدها على إقناع أخته هالة، أن تنسى ريمون، وخداعه... وأن تنهض من جديد..

- ريمون، لا يعرف إلا مصلحته الخاصة، يا أختي.. ولا تهمة مشاعرك، أو مشاعر كل من خدعهن... ها أنت ترين، فقد تزوج من تحقق له رغبته، ونسيك، كما نسي كل ضحاياها... لا تلوميه يا أختي.. فقد رباها أبواها على هذه الأنانية..

- لكنني محطمة يا أخي.. أنا محطمة يا صباح..

- لست محطمة.. أنت تعاقبين نفسك التي صدقت ريمون، وأضاعت من عمرها سنتين، وهي لا ترى سواها.. تركت دراستك،

والتحقت بأهوائه.. كنت تفاخرين أنه يغالذك أكثر من بقية الفتيات..

- لا تزيديني أمأ، يا أمي.. حتى أنت ضدي..؟

- أنا معك، ولست ضدك، يا هالة.. تبقيين ابنتي، رغم تمرّدك، وعنادك..

- ألم يخدعك زوجك أنت..؟ اعترفي..!!

- لكنني نهضت، وتابعت حياتي بما تبقى لدي من طاقة.. وأنت ترين النتائج..

لم يكن لدي أي سلاح أواجه به العالم، بمفردتي.. فاعتمدت على موهبتي، منحتي الريانية.. ولم أسمح لأبيك، ولا لبقية الأشواق المتألمة، أن تمنعني من تحقيق ذاتي.. أنقذت ما يمكن إنقاذه... أنت مازلت في ريعانك، يا ابنتي.. قومي... فالحياتة هدية من القوة الخالقة.. ويجب علينا أن نملأها بالعطاء، الذي يغنيها.. كي ترضي الله.. عندها، فقط، ثبت أننا نستحقها..

• زينب الشيخ حسين

أنا.. وأنا المتكسرة في مرآتي أعتبر مسافة ألم في الذاكرة.

أنحني على قهري أطوف بنبضي وأسحق حفنة من أعقاب الوجع.

يبتلعني الوقت.. ويلفظني أسى يسحبني من إدراكي ويلقيني وهما في دائرة السراب تمتد يده من خلف الدخان المخمور. يربت على كتفي

- رحل ولدنا اليوم يرتجف الظل بأعماقي أرفع يده عن كتفي وأهرب من أمسي.

يشدني لصدره. يهز صمتي يمسح دمعتي وتتبعثر حروفي.

- أجل.. أجل... رحل "فادي" بكرنا.

رحل مع غروب ستة عشر خريفاً على رحيك. رحل يمتلئ شوقاً ويحتزنه المجد والحنين

- إلا يومين يا سميحه؟ هل نسيت تاريخ استشهادي

تبيست الكلمات فوق شفتي.

وراح يجرنني الركام خطوة.. خطوتين.. ويسير بي موكب التشيع. تتنهد عيناوي ويسقط القلب جمرة.

لفني ظلي، قفز من جوارحي، يحز صمتي ويعتصرني.. وينشدد.. سألته وأزفه بكامل بهانه إليك. لهفتك له.. تملأ المكان.

سبقني بصري إلى داخل القبر.. رائحة المسك والحياتة تضج في جدرانها ويعطرها الندى يستلقي نصفي "أبا فادي" بسلام وبكامل تقاضيه جراحه دافئة، محياه قطعة من الفجر، عار من كل شيء إلا من مجده والكبرياء. لم تزل منه وحشة القبر أو ظلمة السنين. تكلك لهفة عارمة.

فرع نبتة خضراء غضة طرية. تمتد برفق وشغف. ستلتف وتتعانق وتتماهى بلون لباسهما المقدس وابتسامتها السخية.

يرد "أبا فادي" التحية يهدونه المعتاد. يتلملم وينزاح جانباً تملؤه البهجة والسرور، يفرد أضلاعه وذراعيه ويفسح المكان لاستقبال قطعة من كبدي ابنه الشهيد.

تطلق نافذة القبر على حجرات قلبي. أمسح ذهولي وأرتدي أرقى لأدخل أدراج العتمة.

- رحيك المشرف يا ولدي فتح جرحاً في الروح. ينزف رحييل والدك الذي يوازية رفعة وشموخا.

ابتلع دمعتي. أحمل قبضة من التراب وتحملني غربتي. يهرب بعضي مني وألج تائهة في دهاليز معتمة إلى فجوة في الذاكرة. ويمشي بي الطريق.

لم أخرف، بعد، يا هالة... أعرف كل ذلك... لكن....

- لكن، ماذا..؟ ستقولين لي : لم يفت الأوان، ولن يفوت، مادامنا على قيد الأمل... أنا لا أشعر بأي أمل.. أنا ميتة..

- من التي تكلمني، إذا..؟

- اضحكي.. اضحكي علي، كعادتك.... كان "محمود" قد عاد من غربته، حصلاً على شهادة رفيعة، أهله لإنشاء معمل لصناعة الألبسة الجاهزة، بخبرة مضاعفة.. شجعه على إنشائه في مدينته الساحلية، تحسن وضع الوطن، بعد خمس عجاف.. وبدأت براعم ربيعنا الحقيقي تلوح للفجر الأخضر، بعد ليل دامس أحمر.. لم يقدر، خلال تلك السنوات الحارة، أن يحضر زفاف أخويه الشهيدين.. لكنه قرّر أن يثأر لهما، على طريقته الخاصة..

- أعرف.. تظنين أن محمود، سيقبل بي، بعد كل ما حصل..!!

- لا أظن ذلك.. لكنه يبحث عن عوامل... وقد أخبرته بوضعك، عندما استفسر عن حالتك..

- تشحذين علي..؟

- أكسر فمك، إن تناولت علي، بعد الآن.... قومي.. افتحي الباب... ألا تسمعين رنين الجرس...؟



مطاردة في زمن الحرب

• ناديا إبراهيم

لم أكن أعرف أن القدر يترصدني، ويضعني أمامه، ويقول لي: أنت لست إلا صفحة بيضاء كاذبة، أن لك أن تخرجي إلى الدنيا أيتها المرأة البائسة، وتقذفي خلفك رداء الفضيلة الناصع، فلا شيء يوازي جمال الدنيا وبهجتها!

ثلاث سنوات من الحرب المستعرة على أرض الوطن، والقلب الحزين لا تفارقه غصات الماضي، أحمل روعي الجافة وأجوب أرجاء المنزل علني أطفأ نريف العيون السخية التي أذرفها، لكن لا جدوى، فضجيج القذائف والقصف والانفجارات المتتالية لا زال يعشعش في داخلي، ويزلزل كياني ويتلف أعصابي، أخي و زوجي قضوا تحت قذيفة هاون في المخيم وأنا هنا مشردة مع والدي العجوز وأولادي في مكان يغيص حتى الركب في أحوال البوء والفجور والابتزاز، أتذكر حكاية ترملي المفاجئ، فأبتلع حبوباً مهدنة تلجم جنوني وهزيمتي، فالشمس ما زالت تشرق، والناس ابتلعوا علقم التشرد، وعاشوا فجاج الموت وكوارثه، قضيت أشهراً تحت الجحيم قبل الفرار من المخيم، تلك الأوقات العصيبة، والانتحار، تحت هول الاشتباكات المتكررة، حفرت في صدري شرخاً لا يندمل إلى الأبد!

واجهتني ابنتي في ذلك المساء، وهي تحدق في وجهي المكفهر وعيني المجمرتين من التحيب المتواصل، لتمزق في صدري كل العقد المستفحلة:

- إلى متى تدفين إنسانيتك بهذا اللباس الأسود؟ الحداد على الأموات ثلاثة أيام فقط، وأنت امرأة مؤمنة ولست الوحيدة التي فقدت أحباءها، فالكأس الذي شربت منه، تجرعه قبلك آلاف من العباد على هذه الأرض، ها أنا أفرغت ما في صدري وأرحت ضميري، ولك الخيار في حياتك!

خلعت الأسود، وارتديت فستاناً أزرق تتخلله عروق خضراء مع ورد بإسمين أبيض، وخرجت في ذلك الصباح الندي إلى السوق لأتبع بعضاً من الخضار والفواكه، التي فقدت وجودها في البيت بسبب ضيق ذات اليد، وعدم وجود ثلاجة. فيوم التشرد خرجت مع عائلتي لا يستر أجسادنا المرتعشة من برد كانون سوى ثياب صيفية، لا ترد برد الشتاء ولا حر الصيف، وكانت المفاجأة المذهلة حين توقف شاب بسيارته الفضية اللامعة أمامي وراح يتأملني وأنا أحاول عبور الطريق إلى الرصيف المقابل، نظرته مسلطة على جسدي من الخلف لم تكن مطمئنة، جنحت عيناها دون قصد مني نحو وجهه الأسمر، وذقنه الكثيفة، وعينييه السوداوين، فسمرتني الدهشة، وصار صدري يعلو ويهبط كأموج البحر المتلاطمة، فتحت ذراعي أعانق الهواء، وأسترد أنفاسي الهاربة، ألمم أكياس الخضار والفواكه التي اشتريتها من السوق وأحشرها في كيس واحد، فأريته يتكور وراء مقوده الأسود في طرف الشارع، يراقبني، ينظر نحوي نظرة المتفحص العارف، وعلى صفحة وجهه ابتسامة صافية، فأحسست أن لابتسامته حكاية مطرزة بالنجوم المضية، والربيع، والأحلام، لكن قلبي المتعب الذي أعياه البكاء، تاهت عنه الابتسامات، ولم يبق داخله سوى صور محفورة لأحباب ذهبوا بعيداً هناك خلف المكان والزمان.

بين أصوات الباعة المجلجلة، وسلامات المعارف من أهالي المخيم، والمشفقين على ترملي المبكر، اختلطت علي الأمور، هل أنا أحلم؟ أم أتخيل؟ أهو أحد أصدقاء زوجي الشهيد؟ أم هو رجل رماه الزمن في طريقي ليسر لي شيئاً لم أعرفه عن قضية موت زوجي وأخي اللذين ترك مقتلهما المفاجئ في ساحة المخيم شيئاً من الغموض والريبة؟

ها أنا الآن أزملة على أعتاب الخمسين وحيدة لفها الصقيع، واقتلعه الطوفان مع مئات المهجرين عن المخيم، لماذا تظل أضغاث الأحلام تلح علي وتوهني في حلقات مزرقة؟

لا.. لن أدع لتلك الترهات أن تكبل عقلي بأطياها! انتبهت ليدي وأنا أقبض على محفظة نقودي التي لا تحوي بداخلها سوى عشرة أوراق من فئة المئة ليرة قذفاها والدي العجوز إلي صباحاً، لأسد بها جوع خمسة أفواه من البيتامي، فهو يشفق على حالهم، كان الرجل لا زال ينظر نحوي، ترى هل يود سرقة محفظتي؟! أنا أحبها لأنها هدية أولادي إلي في يوم عيد الأم السابق! لماذا يبدو شغفاً، يراقب تحركاتي بين الباعة؟

وحتى أغلق جحيم عينييه المسلطتين علي منذ عشر دقائق، سرقت خطواتي السريعة، ودخلت شارعاً فرعياً، من دون أن أترك له فرصة لملاحقتي. كان الشارع ضيقاً ومحشوراً بالسيارات

الموقفة، وفيه رجال غليظو التصرفات والقلوب، يجلسون أمام محلاتهم طوال النهار، يراقبون المارة من العباد المشردين عن بيوتهم والقادمين من بلدات بعيدة، كنت أراهم في بعض الأحيان يتحولون إلى كائنات خفية، تهدر شرراً وقبحاً ولؤماً، يلتقطون الشباب الذين يشتبهون بهم ويسعون إلى ابتزازهم بالفضية التي يدفعها لهم الأهل لحظة مساومتهم، وكل من يرفض الدفع يتم نفيه بعد ذلك إلى أماكن مجهولة!

ولأنني أؤمن بالمصادفات فقد شعرت بالأمان والطمأنينة، وأغلقت نوافذ الأحلام وأبوابها، أغرقت يدي الجافتين في صندوق من العنب، ورحت أنتقي بعض العناقيد، وأضعها في كيس صغير، وخرجت خلسة إلى الشارع، ولم أدر أن هنالك عيوناً متلصصة نبتت فجأة وراحت تدفع بسهامها النارية نحوي، مررت بجانب سيارته الفضية، وسمعت صوت تنهداته مثل رياح شتوية، تخترق أذني، ركنها في ظل شجرة زيتون عجوز، وهبط ينتشي برجولته، يستحم بعرقه تحت شمس الظهيرة متحدياً وهج لهيبها في عينيه السوداوين، لم أنثت خلفي، بل سرت كالتائهة، وقلبي يصخب بدقاته، محتبئة بين ظلال المارة والسيارات المارقة، لم يبد الرجل نحوي أية إساءة، بل كان مبهوراً بشخصيتي الشامخة كشجرة السنديان، لم أتجرأ وأنا أسأله ظلي أن أسأله لماذا يطاردني، بل ماذا يريد مني! لم أجرؤ أن أضع حداً لتماديه في ملاحظتي، بل لذت بالصمت، تنفست الصعداء وقدماي تقذفانني إلى داخل متجر الألبان، ناولت البائع ثمن الحاجيات التي اشتريتها، وقفزت إلى الشارع أهييم على وجهي وروحي ترتعش منتحرة من حرارة تموز المكدسة فوق رأسي، أركض وسياط من الأسئلة المحيرة تجلديني بإشارة من الاستفهام، شممت رائحة غريبة تعبق في الهواء وتطير نحوي، رائحة لم أشتها منذ عشرين عاماً، تحاملت على نفسي، وسددت أنفي بيدي، أمضيت حياتي محشورة بين روائح الطبخ، والزوج، والأولاد، لم يستطع أحد من الرجال أن يחדش صفحة من صفحات عمري الناصعة بالبياض، وبعد ترملي، تكيفت مع بؤسي، ومواجعي، وتعاستي، وصرت أواظب على تجرع أقداري بليونة وسهولة، وبين رغبتني الملحة بالعودة إلى البيت لأحضر أطباق الطعام للعائلة، وبين تشتتي وضياع فكري المتبور الذي أبعدني عن الاختلاط بالناس طوال أعوام الزواج، توقف صاحب السيارة الفضية في زاوية لأحد الشوارع الضيقة، كان لا يزال يبتسم ابتسامة رضا، أعادتني إلى الطريق امرأة شابة على أعتاب العشرين، ارتديت قناع الشجاعة، وحسمت أمري برصانة، ووقفت أمامه وجهاً لوجه، لأتخذ موقفاً جدياً من مطاردته، قذفت بالعيون الفضولية التي تعرفني، وراحت ترجمني بحجارتها خلفي، وخاطبته برسمية:

- هل تعرفني أيها الأستاذ المحترم؟! لماذا تطاردني؟!
- بابتسامته الأليظة، مسح شعر لحيته وقال متحمساً وكأنه يعرفني منذ دهر:
- أرجو ألا تقضي من ملاحظتي، أحببت أن أقول لك فقط كلمتين!

- قل، ومن يحمل عصي ويمنعك!!
- الله يحميك!
- شكراً لك يا محترم، وكثر الله من أمثالك!
وتحرك مسرعاً بسيارته، وبقيت أقف ساهمة خلفه كالمحنطة، لا أعرف أين أنجه ولا إلى أين أذهب، قتل رأسي، أمامي رأيت الأشجار تتحرك من أمكنتها، والأبنية تدور على الأرض، والناس تسير بالاتجاه المعاكس، كلماته التي ردها أسمعها للمرة الأولى من رجل لا أعرفه، ولم أصدفه في حياتي قط. أحسست بدعائه يחדش صقيع وحدتي وعممة الانطفاء في جسدي، وأسرار كثيرة لا زلت أكتنزها في أعماقي. دب الارتياح في نفسي، فانتهجت بعد الاستيقاظ من غيبوبتي نحو البيت، أغرق في أفكار قد عزمت على رميها في حاوية القمامة، فضربتني رياح الذكريات، بين ليلة وضحاها ضاع كل شيء، وتسرب كالماء من بين أصابعي هباء منثوراً، لم يستمع زوجي المرحوم إلى نصيحة واحدة مني، مع العلم أنني لم أكن أرفض له طلباً، وكنت أتقبل نصيحته وكأنها كلام منزل، ليلة تركني زرع أمامي الدرب المحفوفة بالمخاطر وردياً ورياحين، وقال لحظة لوح لي عند الفجر مودعاً:
- لا تخالي يا امرأة، الليل ستار، سأذهب لأجلب لكم ثياب الشتاء، وأطمئن على البيت! لن أتأخر عليكم!

تجاوز الوقت منتصف الليل، وأشرق نهار جديد، ثم انقضى أسبوع، ودار الزمن دورته، ولم يعد زوجي من غيبته، أمام والدي العجوز المتهالك بجسده النحيل على فراش المرض، تضجرت دموعي كالينابيع، جلست عند قدميه مكسورة القلب والجناح، أقبلهما، فهم العجوز أنني انتزع منه الموافقة على ذهاب أخي الصغير خلف زوجي لبيحث عنه، كتم خوفه، غطاه بابتسامة مفتعلة، ورحل أخي ليلاً، ثم يرفض طلبي، خرج كسير القلب يحمل دمه على كفه، يسدد معروفاً قمت به يوم رعيته في المهدي صغيراً بعد أشهر من وفاة والدي!

تحدى الموت والخوف، وبقيت خلفه أجهش بالبكاء، وأراقب الدرب علني أتلقى خبراً عنهما يضيء القلب الذي غزته الظلمة باكراً، لكن جنون الحرب المستعرة، ونزيف الغربة المؤلمة هدمت حلمي المنتظر. شاب الشعر باكراً، وانقص ظهري وأنا أقف كل يوم أمام الباب أنتظر عودتهما، حتى انتحر البكاء في عيني، وتهدئت أعضائي، ولم أعد قادرة على الانتصاب المتواصل، صرت أمشي بين الناس كالتائهة الضائعة، التي دفعت أخواها إلى الموت قسراً، علني أجد بينهم من يرشدني إلى جنتيها بعدما أسر إلي أحد الرجال من أهالي المخيم أنه رأى اسميهما يتصدران قائمة الذين قضوا قنصاً ودفنوا في مقبرة المخيم! ومن يومها وأنا أغرق وسادتي بالدموع وأرطبها بالندم، أقفلت محارة القلب، وحشرت الحزن في صدري متجذراً، ومع ذلك أقسمت أمام أولادي أن التصوف في حبههم والاهتمام بدراساتهم ستكون أولى أولوياتي في الحياة.

استحم جسدي بالعرق، وفار الدم في عروقي، غضب الشمس اللاهية وحرارتها جعلتني أدوب وأتضاعل تحت وهجها كالشمعة، احتमित بشرفات الأبنية العالية أستظل بفيئها، وقبل أن أنطلق نحو البيت، التفت إلى الخلف لأعبر الطريق، فأريته يقترب بسيارته الفضية نحوي، ويصوب إلي عيني زرع فيهما القهر والغضب حروفاً من الهزيمة والاندحار، قال متحمساً وأمنية تتوهج بين شفثيه كشعاع من نار:

- أنا رجل وحيد في هذه البلدة، لا أهل، لا أصدقاء، كل من أحببتهم رحلوا، وصاروا هياكل غائرة تحت التراب! ما رأيك يا آنسة، لو تكون أصدقاؤ؟

طريقة بوحه بالصدقة أذهلتني، ولولبتني في شردمة من الضياع، صحيح أنني امرأة بلا أحد، أو سند، وضاع مني كل شيء، ولم تعد تحمر وجنتاي خجلاً، قلت له بصراحة، والدم يغلي في عروقي، وبالكاد ألتقط أنفاسي التي اختنقت في صدري:

- أنا لست آنسة يا بني، بل جدة لحفيدين صغيرين!
تلون وجهه بشتي ألوان الخجل والاضطراب، ثم أطرق بنظره نحو الأسفل، وقال برصانة واحترام معتذراً عما بدر منه:

- أسف على إزعاجك، وأكررها مئات المرات، الله يحميك ويحرسك من عيون الحاسدين!

اختفى بسيارته كالمارد ودخل إحدى الحارات الضيقة وبقيت خلفه مبعثرة الجسد مثل عصفور يحتضر داخل قفصه، زوبعة من الضباب غلفت عيني الذابلتين، وصرت أرى الأشياء حولي بقالب مزدوج، مطاردته كانت بمثابة لغز محير هزني، ودفعتني نحو البيت لاهنة، تأملت وجهي الذابل الذي لونه الاصفرار، وغزته التجاعيد، وإلى شفثي الجافتين اللتين شققهما العطش والجفاف، فبحثت عن مرآتي التي تاهت مني منذ زمن بين قطع الملابس المبعثرة، وجدتها مركونة في إحدى الزوايا، مررت بكفي على وجهي برقة وعفوية، فاستيقظ حلم الشباب في داخلي، وأعادني إلى الوراء يوم كان القمر بداراً مشرقاً في سماء المخيم وحوله عشيقاته النجوم تحتضنه، توهجت في عيني ألوان قوس قزح، وصرت أرثدي الثياب الجميلة، وأضع المساحيق والإكسسوارات، خرجت إلى الدنيا من جديد، وحمدت الرب أنني لا زلت امرأة، وصرت كلما أخرج للتسوق يقفز قلبي من صدري مذعوراً، وأرتعش كلما مرت أمامي سيارة فضية اللون تلمع تحت وهج الشمس الصباحية!

في أهداف أدب الأطفال

• عبد المجيد إبراهيم قاسم

أدب الأطفال هو شكل حديث من أشكال الأدب، يوجه إلى جمهور الأطفال، يهتم بميولهم واحتياجاتهم، ويراعي خصائصهم وقدراتهم، وطبيعة نمائهم من الجوانب العقلية والانفعالية واللغوية. ويرتكز هذا الأدب على مجموعة من الأسس الفلسفية والتربوية والنفسية الحديثة، ويتخذ عدداً أنواع من الفنون الأدبية في تصوير الأفكار والأخيلة، تتمثل في القصة والشعر والمسرحية والمقالة والرواية. لم يعد يُنظر اليوم إلى أدب الأطفال كوسيلة ترفيهية غايتها إشاعة البهجة والمرح فحسب، ولم تعد أهدافه محصورة بتسليّة الطفل أو ملء أوقات فراغه، إنما بات وسيلة هامة في بناء الشخصية الطفلية، وإثراء مكوناتها وتنمية قدراتها.

ميوولهم للتقليد وتمثيل الأدوار.

(٦) تنمية القدرات الإبداعية والابتكارية، واكتشاف جوانبها لديهم.

(٧) تنمية الخيال، حيث يؤدي أدب الأطفال دوراً هاماً في هذا الاتجاه.

(٨) تنمية مهارات متنوعة، كالقراءة والكتابة، ومهارات الاتصال والتواصل وغيرها.

(٩) تنمية صفات شخصية كالتعويد على الجرأة، والاعتماد على النفس والعمل المتعاون.

(ثانياً) الأهداف الثقافية والمعرفية والتعليمية:

(١) رفد الأطفال بثقافة مناسبة، والإسهام في زيادة معارفهم واطلاعهم.

(٢) الإسهام بدور محبب في تعليمهم أساليب الحياة واكتشاف طبيعتها.

(٣) تزويدهم بالمعارف والحقائق عن الطبيعة والبيئات الاجتماعية المختلفة.

(٤) تنمية العمليات المعرفية، وروح النقد البناء، والقدرة على المحاكمة.

(٥) إثراء لغة الأطفال والارتقاء بأساليبها، والإسهام في زيادة حصيلتهم من الألفاظ.

(٦) الإسهام -عبر النماذج التي توظف التراث- في ربطهم بتراث أمتهم وحضارتها، واطلاعهم على النواحي المشرقة، وتعريفهم بالشخصيات التاريخية والأدبية الهامة، وسير الأبطال والمفكرين، بما يعزز مفهوم الانتماء، وينمي قيمة الاعتزاز بالتراث في نفوسهم.

ثالثاً) الأهداف الانفعالية والوجدانية:

(١) إثارة العواطف النبيلة، وتعزيز المشاعر والأحاسيس الإنسانية النبيلة.

(٢) تهذيب انفعالاتهم وتوجيهها وجهة سليمة، وتوفير التوازن النفسي لهم.

أولاً) الأهداف التربوية:

(١) تنمية شخصيات الأطفال جسدياً وعقلياً ونفسياً واجتماعياً ولفوياً، وتوسيع آفاق مداركهم.

(٢) إتاحة الفرصة ليعيشوا الخبرات والتجارب المختلفة، ضمن استراتيجيات تلائم أفكارهم وقدراتهم واحتياجاتهم.

(٣) مساعدتهم في اكتشاف البيئة المحيطة بهم، وتنمية الاتجاهات التي تعزز لديهم مواجهة المشكلات.

(٤) تنمية القدرة التعبيرية عن الأفكار والمشاعر.

(٥) تنمية البحث والاستطلاع والاستكشاف في نفوسهم، وإرضاء

(٣) تأمين نوع من الثقة والراحة النفسية، وإقامة علاقات إيجابية مع الآخرين.

(٤) معالجة بعض الأمراض والمشكلات النفسية، كالخوف والعدوانية والخجل الانطواء والعزلة، وبعض العيوب اللغوية، كالتلعثم والتأتأة.

(٥) تكوين اتجاهات إيجابية نحو القراءة والمطالعة، واستثمار وقت الفراغ بالمفيد.

رابعاً) الأهداف الاجتماعية:

(١) التعريف بالبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الطفل، وبقيمها الإيجابية السائدة.

(٢) تنمية الحس الاجتماعي، وغرس القيم والاتجاهات الإيجابية التي تنسجم مع قيم المجتمع.

(٣) ترسيخ علاقات اجتماعية سليمة في الأسرة والمدرسة والمحيط الاجتماعي.

خامساً) الأهداف الجمالية والتذوقية:

(١) الارتقاء بحس الطفل التذوقي، وتعزيز توجهاته الجمالية.

(٢) إكسابه حب الطبيعة، من خلال النماذج الأدبية التي يقدمها.

(٣) تنمية المقدرة على تذوق الأدب، وتمييز الجيد من الرديء.

سادساً) الأهداف الأخلاقية والتهذيبية:

(١) تهذيب سلوك الطفل، وتبصيره بالقيم الخلقية الإيجابية.

(٢) تعزيز الالتزام بالانضباط، واتباع أنماط سلوكية راقية.

(٣) خلق روح الألفة والتعاون بين الأطفال.

سابعاً) الأهداف الترفيهية:

(١) إضفاء المرح والحيوية، وتوفير أجواء التشويق والمتعة بين الأطفال.

(٢) منح الشعور بالراحة والسرور، وبتّ التسلية والترفيه والاستمتاع.

(٣) ملء أوقات الفراغ بالمفيد والمسلي، وحسن الانتفاع من الوقت بما ينمي مواهبهم وهواياتهم.

(٤) تجديد نشاط الطفل، وتهيئته للتعلم والتفاعل والمشاركة. هذه الأهداف كلها لا تتحقق بالصورة المطلوبة، ولا يبلغ تأثيرها فكر

الطفل ووجدانه وسلوكه؛ إلا إذا وجهت في أطر تتناسب قدراته، وتعتبر عن خصائص شخصيته تعبيراً صادقاً وشفافاً، وبذلك يتمكن هذا الأدب من التأثير الإيجابي في الطفل، وبتّ المسرة فيه، ورسم الابتسامة على شفاهه.

بتلك القصيدة شامل المصفي

• سهيل حمد أبو فخر

عن القصيدة كي لا أفسدها. سأجعلها تتحدث بنفسها عن نفسها، وتوحي للقارئ بعظمة قائلها.

وقلت بحبي أحلى قصيدة فهل سرّ دقق الشباب بقلبي وضوء عيوني وسرّ غروري بتلك القصيدة؟

•••

بتلك القصيدة

مرايا تزين غرفة نومي

هنا في الخزانة كل كنوزي

تنام رفوقاً على دفتري

بتاريخ هذي الثياب

رسمت روائع شعرك

ولم يبق خيط

بدون قصيدة!

ولكن

أحس بأنك جُزّت مدار جميع النجوم

وعمرت بيتي بأرض القمر

بتلك القصيدة!

•••

ألمم ذكرى لقاء صغير

وقد كان صدفة

بذاك المصيف بقرب دمشق

ودار النقاش بدنيا السياسة

وكنّت محط ارتكاز العيون

تديّر الحديث بحنكة ساحر

فأحسست أنني حيال رجولة

وقد حاصرته عيوني

وكنّت تداعب كاسك

وتبحر عيناك في مقلتي

فتسبّر غوري

تراك اكتشفت بأن الحروف

تلامس وجهي كنسمة صيف؟

•••

وأنّ تهبّ رياح الخريف

وتهجر سقفي رفوف السنونو

أراك أمامي على مقعدك

يداعب أنفي عبير نبوغك

وأنت هناك بعيد... بعيد

فاشرب كأساً

ألوذ بشوقي لتلك القصيدة

فيهرب خويّ

ويغمّر نفسي صفاء السكينة

•••

وتسأل

أين سنسهر

ليلة رأس السنة؟

وأذكر أنك

قلت المكان

وقلت الزمان

وأرسلت قبلة!

فرن صداها النغم بأذني

البقية ص ١٥

الساخران، سقراط ودون خوان

• أورثغا إي غاسيت Ortega y Gasset

• ت: علي إبراهيم أشقر

حياة أخرى تكفي نفسها بنفسها ويمكن لها أن تنتزع تلك الحياة من مقرها. وإنما هي جزيرة صغيرة طافية فحسب، فوق بحر الحيوية الأولى. وبعيداً عن قدرتها على الحلول محل تلك، لا بد لها من أن تعتمد عليها وتتغذى منها، كما يعيش كل عضو من الأعضاء من العضوية كلها.

هذه هي مرحلة التطور الأوروبي التي تتصادف وجيلنا. وإن حدود المسألة بدت بعد أن طافت حلقة طويلة، أنها وضعت في موقع معاكس تماماً، لما مثلت به أمام روح سقراط. فقد قام زماننا باكتشاف معاكس لاكتشافه. فهو اكتشف سر الخط الذي تبدأ به سلطة العقل؛ أما نحن فقد أتبع لنا أن نرى الخط حيث ينتهي. ورسالتنا إذا، هي معاكسة لرسالته. فقد اكتشفنا الذاتية مرة أخرى، عبر العقلانية.

ذلك لا يعني العودة إلى البراءة الأولى الشبيهة بالبراءة التي كان يزعمها روسو. فالعقل، أي الثقافة على الطريقة الهندسية، هو كسب خالد. لكن، من الضرورة بمكان أن تصحح الصوفية السقراطية العقلانية الثقافية التي تجعل حدود تلك، أو لا تستخرج النتائج بصدق من هذا التحديد. والعقل ما هو إلا شكل ووظيفة من وظائف الحياة. والثقافة هي أداة بيولوجية ولا شيء آخر. فإذا ما وضعت بإزاء الحياة وضدها، فإنها تمثل تمرّد الجزء على الكل، والضرورة تقضي بأن ترجع إلى موقعها ووظيفتها.

وان موضوع زماننا يكمن في خضوع العقل للحيوية، ووضعه داخل ما هو بيولوجي وتقديده بالذاتية، وسوف يظهر خلال سنوات قليلة عبث الطلب إلى الحياة أن تضع نفسها في خدمة الثقافة. وإن مهمة زماننا الجديد هي تحديد أن نحول العلاقة، ونبين أن الثقافة والعقل والضم والأخلاق هي من يجب عليه خدمة الحياة.

وموقفنا إذا، يحتوي على سخرية جديدة ذات سمة معاكسة لسخرية سقراط. ولئن كان سقراط لا يثق بالذاتية، وينظر إليها من خلال القوانين العرقية، فإن إنسان الوقت الحاضر لا يثق بالعقل ويحكم عليه من خلال الذاتية. وهو لا يرفض العقل، لكنه يكبح تطاعته في السيادة ويسخر منها. ولربما بدا ذلك لرجال من الطراز القديم أن ذلك الأمر نقص في الاحترام. وذلك ممكن، لكن، لا محيد عنه. وقد جانت بشكل لا راد له الساعة التي تتقدم الحياة فيها للثقافة بمطالبتها. «كل ما نسميه اليوم ثقافة وتربية وحضارة لا بد له من أن يمثل ذات يوم أمام القاضي المعصوم ديونيسيوس». هذا ما كان يتنبأ به نيتشه في أحد أعماله الأولى.

وهذي هي سخرية دون خوان الوقحة، وهي صورة ملتبسة، زماننا أخذ بصقلها وتهذيبها حتى يمنحها معنى صحيحاً. إن دون خوان يثور على الأخلاق، لأن الأخلاق قد كانت تمرّدت من قبل على الحياة، حتى إذا ما وجدت أخلاق يُعتد بها كما يُعتد بعبارةها الأولى، وهو الامتلاء الحيوي، فإن دون خوان يمكن له أن يخضع. لكن هذا يعني ثقافة جديدة؛ إنها الثقافة الحيوية. وعلى العقل المحض أن يتنازل عن إمبراطوريته للعقل الحيوي.

١. كاتب وفيلسوف إسباني وُلد عام ١٨٨٣ وتوفي عام ١٩٥٥. أنجز دراسته الفلسفية في مدريد، ثم وسع وعمق دراساته في جامعات لايبزيغ وماربورغ وبرلين في ألمانيا. كان أستاذاً جامعياً وعمل في الصحافة، إذ إنه أسس (مجلة الغرب) ذات الشهرة العريضة. وكتب في شتى مجالات الحياة. المترجم

”

كان سقراط أول من تنبّه إلى أن العقل هو عالم جديد أكمل وأسمى مما نجده حولنا تلقائياً.

”

إن دون خوان يثور على الأخلاق، لأن الأخلاق قد كانت تمرّدت من قبل على الحياة.

”

باستمرار، وهي تظهر وتستهلك وتتحوّل بعضها إلى البعض الآخر؛ فالبياض يسود، والماء يتبخّر والإنسان ينهار؛ وما هو أكبر، مقارنة بشيء ما، أصغر مقارنة بشيء آخر. والأمر ذاته يحدث لعالم البشر الداخلي؛ فالرغبات والأهواء تتبدّل وتتناقض؛ والألم حينما يخفّ يصبح لذة؛ واللذة عند التكرار تصبح مضجرة وتؤلم. فلا ما يحيط بنا ولا ما في داخلنا نحن، يقدم لنا نقطة أمينة يستقر فيها ذهننا. أما المفاهيم البحتة logoi، فهي على العكس من ذلك، تكون صنفاً من الكيانات الثابتة الكاملة الصحيحة. ففكرة البياض لا تحتوي إلا البياض، وفكرة الحركة لا تتحوّل مطلقاً إلى سكون؛ والواحد هو واحد بصورة لا تتبدّل، والاثنان هما دائماً اثنان. وهذه المفاهيم تدخل في علاقة مع بعضها البعض من غير أن تضطرب قط، ومن غير أن تعاني تذبذبات، فالكبر يابى الصغر دون انثناء؛ والعدالة على العكس من ذلك، تحتضن الوحدة. والعدالة هي في الواقع واحدة دائماً، وهي هي نفسها دائماً. ولربما كان انفعالا لا نظير له ذلك الانفعال الذي حظي به أولئك الرجال الذين رأوا لأول مرة الفكر «العقول»، تنتصب أمام أذهانهم. فمهما يكن جسمان مُصمّتين جداً، فإن مفهومين هما مُصمّتان أكثر منهما كثيراً. فالهوية تقاوم الاختلاط بالاختلاف مقاومة مطلقة. والإنسان الفاضل هو في آن واحد أكثر أو أقل عيوباً دائماً؛ لكن الفضيلة خالية من العيب. والمفاهيم إذا، هي أكثر وضوحاً وجلاءً وأشد مقاومة من الأشياء في محيطنا الحيوي وتتصرف بموجب قوانين صحيحة لا تتبدّل.

وان الحماسة التي أحدثها في الأجيال السقراطية الكشف المفاجئ عن عالم مثالي، وصلت إلينا تترقرق في محاورات أفلاطون. ولسنا في شك من أنهم: اكتشفوا الواقع الحقيقي الذي بمقارنته بالواقع الآخر الذي تقدّمه لنا الحياة الذاتية، ظل بشكل آلي، من غير تصنيف. وقد فرضت تلك التجربة على سقراط وعلى عصره موقفاً واضحاً جداً، بمقتضاه تكون رسالة الإنسان كامنّة في إبدال العقلي بالذاتي أو التلقائي. وهكذا يجب على المرء في النظام العقلي أن يقيم قناعاته الذاتية التي ما هي إلا «دأ» - doxa. ويتخذ بدلاً منها أفكار العقل المحض التي هي «المعرفة» - epistemé. الحقيقة. وبالتوازي مع ذلك، يجب عليه في السلوك العملي أن يرفض، ويعلق رغباته وأفكاره الفطرية كلها ليتبع أوامر العقل طامعاً. كان موضوع عصر سقراط إذا يكمن في إخراج الحياة الذاتية، لكي يحل محلها العقل المحض. لكن هذا المشروع جلب معه ثنائياً في وجودنا، لأن الذاتية لا يمكن أن تلغى؛ وإنما يمكن إيقافها وفقاً لما يطرأ، ولجمها وتغطيتها بهذه

لم تعد الحياة البشرية بُعديها الاثنان؛ الثقافة والذاتية. لكن، في أوروبا، وصلوا إلى فرقة كاملة وانفكك بينهما إلى حد شكلا فيه قطبين متعارضين. فلا العلم ولا الأخلاق في الهند أو في الصين استطاعا أن ينتصبا سلطتين مستقلتين عن الحياة الذاتية، ويمارسا بصفتها تلك سلطانهما على تلك الذاتية. فالتفكير الشرقي لم يستغن قط عن الذات لكي يغزو هذا الوجود الواضح الموضوعي الذي له مثلاً، قانون فيزيائي في نظر وعي الأوروبي. هناك وجهات نظر تبدو حياة الشرقي انطلاقاً منها أكثر كمالاً من حياة الغربي؛ لكن ثقافته هي بشكل واضح أدنى ثقافياً من ثقافتنا، ونحقق معنى هذه الكلمة بصورة أقل تجذراً. فمجد الأوروبي وربما مأساته تكمنان على العكس من ذلك، في أنه وصل بهذا البعد المتعالي للحياة إلى آخر نتائجها؛ إن حكمة الشرقيين وأخلاقهم لم تفقد قط طابعها التقليدي. فالصيني عاجز عن تكوين فكرة عن العالم، بالاعتماد على العقل فقط، وعلى حقيقة هذه الفكرة. فهو يحتاج لكي يمنحها ولاءه ولكي يقتنع بها، إلى أن يراها وقد أجازها الماضي السحيق؛ أي، لا بد له من أن يجد أساسها العميق في العادات الذهبية التي أودعها العرق في عضويته. وما يكون بالتراث ليس ما يكون بالثقافة. فالتراثية ليست إلا شكلاً من الذاتية. وقد قام ناس ١٧٨٩ فنسوا الماضي معتمدين في انقلابهم الرهيب على العقل المحض؛ وفي مقابل ذلك، كان لا بد للثورة الصينية الأخيرة، من أن يبشر بها مبشرين أنه أوصى بها أكثر عقائد كونفوشيوس صدقا.

إن جمال التاريخ الأوروبي والألم فيه، ربما جاء من الانفكك المفرد والتضاد اللذين حملت بهما هاتان المفردتان. فقد نُقحت الثقافة والعقل حتى المدى الأخير، حتى انقطعت صلتهما تقريباً بالحياة الذاتية أو التلقائية التي صارت من جهتها خاوية خشنة كما كانت في حالتها الأولى. ولقد نشأ من هذا التوتر المفرد دينامية تاريخنا القاري، الفذة، وتغييره المستمر ورعشته الدائمة. أما في تاريخ آسيا فيبدو لنا أننا نشهد سيروية نبات، جامدة، سيروية كائن خامل دون حافظ كاف للنضال لمواجهة المصير. وان هذا الحافظ القوي ينطلق باستمرار طفلة التطور الأوروبي، وهو عائد إلى التفاوت بين مستويي قطبي الحياة. لذلك، لا شيء يوضح على شكل أفضل سيروية تاريخ أوروبا كما يوضحه تحديد المراحل المختلفة لعلاقة الثقافة بالذاتية.

إذ يجب ألا ننسى أن الثقافة والعقل لم يكونا موجودين منذ الأزل على الأرض. هناك لحظة محددة زمنياً بشكل تام، اكتشف فيها قطب الحياة الموضوعي، أي العقل. ويمكننا القول إن أوروبا وُلدت في تلك اللحظة كما هي؛ وكان الوجود في قارتنا حتى ذلك الوقت، يختلط بما كان موجوداً في آسيا أو في مصر. لكن سقراط اكتشف العقل ذات يوم في سويحات أثينا.

ولا أحسب أننا نستطيع الكلام مباشرة عن واجبات الإنسان الحالي الذي لم يتنبّه جيداً إلى ما يعنيه الاكتشاف السقراطي، إذ فيه يحتبس مفتاح التاريخ الأوروبي ومن دونه يكون تاريخنا وحاضرنا لغزاً مبهماً. وقد عمل العقل قبل سقراط، في الحقيقة انقضى قرنان والناس يعملون العقل داخل المدار الهيليني. فمن أجل اكتشاف شيء، لا بد بالطبع، من أن يكون موجوداً من ذي قبل. فبرمنيدس وهرقليط قد كانا أعمالاً عقلهما لكنهما ما كانا يعلمان ذلك. أما سقراط فكان أول من تنبّه إلى أن العقل هو عالم جديد أكمل وأسمى مما نجده حولنا تلقائياً. فالأشياء المرئية والملموسة تتغير

الموجة الجديدة

وربما مدارس جديدة في كتابة الشعر والأبرز على الساحة اليوم هو مصطلح: «شعر الأزمة السورية» أو «الشعر ما بعد الحرب» أو شعر الحرب في سورية، أو «التيارات الجديدة في الشعر السوري ما بعد الأزمة».... التسميات كثيرة والمعنى واحد: إن شمة تغييراً طرأ على الشعر السوري، ما استدعى نشوء موجة جديدة من الشعر، بل ومن الشعراء.

أما تقييم هذه التجارب ومدى أصالتها وعمقها وسيورتها وقدرتها على البقاء والاستمرار فذلك رهن بالقدام ويعمل النقد، الذي ينبغي له أيضاً أن يختلق موجة جديدة لتدرك كيفية التعامل مع الموجة الجديدة في الشعر السوري خلال وما بعد الحرب في سورية.

سوزان ابراهيم • Suzan_ib@yahoo.com

مما لا شك فيه أن الواقع المعيش يفرز مصطلحاته ومفاهيمه، وكلما تغير الواقع تغيراً حاداً، تغيرت تالياً هذه المصطلحات، أو برزت إلى السطح مصطلحات وتسميات جديدة اقتضتها ضرورة المستجد على الواقع.

ما من شيء أسوأ من الحرب يقدر على تغيير البنى الفكرية والمفاهيمية ربما في الواقع، وإعطائها دلالات وتعابير جديدة وتراكيب وصور ومخيل وغير ذلك، ولأن الشعر أقرب إلى النبض الأني فهو أكثر الأنواع الأدبية حيوية وتأثراً بما يجري.

هكذا ولدت من رحم المعاناة التي يعيشها السوريون وعلى مدى خمس سنوات ونيف، تسميات جديدة

مَنْ أَيْقَظَ اللَّهْفَةَ..؟!؟

• سعاد محمد محمد



وبعضها جَمْرٌ يرقُدُ بين السُّطور
السَّائِرُ عَارِيَةً
لَمْ تَجِدْ شَهْظَةً وَاحِدَةً تَرْتَدِيهَا
فِي حَضْرَةِ هَذَا الشُّوقِ الْفَاجِرِ
ثَمَّةً صَلَاةً تَلْمِمْ سَجَادَتَهَا
بَعْدَ أَنْ جَفَّتِ الْإِبْتِهَالَاتُ
عَلَى شِفَاهِ الْقَصَبِ
ثَمَّةً لَيْلٍ...
أُورِقَ جَذَعُهُ الْيَابِسُ ثَلَاثَ
نَجْمَاتٍ ؛
عَيْنِيكَ وَقَلْبِي
عَجَزَ أَنْ يُزْهِرَ
وَلَوْ ضِحْكَةً وَاحِدَةً...!
كُلُّ الْكَلِمَاتِ زُلْفَى رُوحِي إِلَيْكَ
مُقَلُّ تَصْلِيكَ صُبْحًا تَأَخَّرَ
لِأَسْبَابِ عَرْجَاءٍ...!

مَنْ أَيْقَظَ اللَّهْفَةَ
أَنَا أَمْ أَنْتِ..؟!؟
تَبَارَكَ
مَنْ تَبَلَّتْ يَدَاهُ بِتِلْكَ الْفِتْنَةِ
أَذْنَ الشُّوقِ عَلَيْكَ
فَتَعَثَّرَ الْقَلْبُ بِأَسْبَابِ الْغِيَابِ.
حَرِيٌّ بِهَذَا اللَّيْلِ
أَنْ يَطْمُرَ رَأْسَهُ
تَحْتَ كَوْمَةِ الْفَجْرِ
إِنْ لَمْ تُوقِدْ أَحْلَامَهُ
عَيْنَاكَ...!
أَحْتَا جُكَ
وَأَتَعَفَّفُ عَنْ سِوَاكَ.
أَحْتَا جُكَ
ضَلْعًا لَفْرَحِي الْمَكْسُورِ
نَخْبًا خُرَافِيًّا لِصَيْفِ أَقْمَارِهِ
خَائِضَةً
بِعُضُّهَا دُمُوعٌ
بِعُضُّهَا شَمُوعٌ

لافتة

• مريم محمود العلي

ممل يغزو النفس المتعبة من روتين الحياة المستمر الذي لا يكسر إلا بحدث استثنائي ..

جو خائق في هذا المساء المترامي بين أحضان الوقت يمضي عبر جسد الحياة الساخر من كل شيء .

جر خطواته جرا خارج منزله .. (من يدري ربما تجاوز الحالة التي تعتريه .)

رأى الناس تسيير بسرعة باتجاه المركز الثقافي

(هل يستضيف المركز .. أديبا لامعا .. أو محاضرا فذا .. أو سياسيا محتكا)

جاء الفرج كما يقولون ... فغذاء الروح والفكر لا بد أن يمزق ستائر الهم والحزن والملل .

ازدحام لم يعهده من قبل ..

ابتسم ما زالت بلادنا بخير والناس يهرولون من أجل الثقافة

عند مدخل المركز تسمرت قدماه وشعر كأن ماء باردا صب فوق رأسه وأصابه فتور

بعد أن قرأ اللافتة التي ترحب بالضيافة الرائعة الفنانة المشهورة ...

أستيقظ

• محمد يويو

أستيقظ..

على فرقعات يدين..

الموت ينشر غسيله

تحت أشعة برتقالة عفنة

لم يتبق من "أنخدوانا" سوى أقرص فخارية..

حتى لو استظهرت تراتيلها الإلهية وتسبيحات جلد الأرض

فلن تشفع..

أستيقظ..

على ضحكة شيطانية

لعالم آثار لاهث بلا يدين

يرتب حضرياته بقدم الليل العرجاء

إيقاع داخلي للموت

يعانق نشوة الخفة الفرائبية..

ركض بلا خفين..

أخف وطأة من موت موزون



للنشر في الأسبوع الأدبي

يراعى أن تكون المادة:

- غير منشورة ورقياً أو عبر الشبكة.
- منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
- ألا تتجاوز المادة المرسله /800/ ثمانمائة كلمة.
- يرفق مع المادة CD أو ترسل عبر البريد الإلكتروني aru@tarassul.sy
- يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة
تعبّر عن وجهة نظر كاتبها

E-mail :
alesboa2016@hotmail.com

الاشتراك السنوي - داخل القطر أعضاء اتحاد
الكتاب العرب 700 ل س - للأفراد 2000 ل س
-وزارات ومؤسسات 2400 ل س - في الوطن
العربي - للأفراد 6000 ل س أو 1500 \$ - للوزارات
والمؤسسات 8000 ل س أو 1750 \$ - خارج الوطن
العربي - للأفراد 20000 ل س أو 360 \$ -
للمؤسسات 30000 ل س أو 4200 \$ والقيمة تسدد
مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب
-دمشق ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

المراسلات

الجمهورية العربية السورية - دمشق - ص
ب(3230) - هاتف 6117241-6117240 - فاكس
6117244 - جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 25 ل س - في الوطن
العربي: 0,5 \$ خارج الوطن العربي 1 \$ أو ما يعادله.
تضاف أجور البريد للمترجمين خارج سورية

في تجهيل المجتمع العربي...تتمة ص ٣

العثمانية للوطن العربي، بدأ تنفيذ المخطط الصهيوني لاحتلال فلسطين، وذلك مع بدء الصهاينة الهجرة الأولى عام 1882م إلى فلسطين بموافقة السلطان العثماني، وقد استمرت هذه الهجرة بالتزايد حتى أصبحت، في مراحل لاحقة، تشكل تهديداً حقيقياً للوجود العربي في فلسطين، كما عمد العثمانيون إلى القيام بمجازر تاريخية منظمة ضد خصومهم، ومخالفهم، إذ تم إعدام أكثر من مليون ونصف أرمني، وتشريد الباقين، كما عمدوا إلى إحراق مخالفيهم، تماماً، كما يفعل أحفادهم اليوم، فقد أحرق العثمانيون 1500 أرمني أحياء لجؤوا من ماكينه الذبح العثمانية إلى كاتدرائية مدينتهم، فتم إحراق الكاتدرائية بمن فيها. واليوم يستعيد العثمانيون الجدد سياسة أجدادهم في العراق، وسوريا، والوطن العربي والعالم الإسلامي بأسره، من خلال عدائهم للعروبة، وأهلها وإثارتهم للفتن الطائفية، والمذهبية، واستخدام الميليشيات المذهبية التكفيرية الاحترافية للقيام بهذا، رغبة منهم في استعادة السيطرة على المشرق العربي وغيره إن استطاعوا.

لمصر بقوله: «لا أحسب مصر، في تاريخها الطويل، عرفت عهداً أظلم من تلك القرون الثلاثة، بل الأربعة التي مرت على مصر، بعد موقعة مرج دابق بالشام وموقعة سنبل علان بمشرف القاهرة». ذلك أن السلطان سليم حين غزا مصر، وضع حداً لألف سنة من الاستقلال الذاتي، بقتل طومان باي قائد المماليك، ودمر، بصورة منتظمة، ثروة مصر في العصور الوسطى، وفنونها، وصناعاتها، وثقافتها. ويؤكد الدكتور عفيف البوني: «أن العثمانيين قاموا بنهب ثروات تونس، وأفقروا الثقافة العربية الأصيلة روحياً، وعملوا على تتركب نمط الحياة، وإفساد الإدارة، ولذا أنهك اقتصاد تونس، وأصيب الشعب فيها باستلاب سياسي، واقتصادي ترك آثاره في مختلف مناحي الحياة، الأمر الذي أدى إلى خلق فراغ سياسي، وضعف اقتصادي خطير، أنهك مقاومة الشعب، مما مكن الفرنسيين من احتلال البلاد في مراحل لاحقة، كما ساهم العثمانيون في تشويه الصورة الناصعة للإسلام، بإجبارهم الناس على الدخول في الدين الإسلامي، وأخذهم الأطفال من أبناء غير المسلمين، وتجنيدهم في الجيش الانكشاري، مخالفين بذلك قوله تعالى: (لا إكراه في الدين). وفي المراحل الأخيرة من احتلال الدولة

وبداياتها الأولى على الغدر، حتى بالمسلمين، الذين يخالفونها التوجه، فقد غدر القادة العثمانيون بالسلاجقة وسلاطينهم، الذين كانوا سبباً في نشوء أول إمارة عثمانية في آسيا الصغرى، وقد بدأت تلك الإمارة بالتوسع على حساب ممتلكات الدولة السلجوقية المسلمة، وهو ما يعني أن البدايات الأولى للعثمانيين لم تكن موجهة ضد (الشرك والمشركين)، ولم تكن امتداداً للحروب الإسلامية التي انطلقت مع بزوغ الإسلام، بل إنها كانت محاولة للتوسع على حساب دولة أخرى تعتنق الإسلام، وتدين به «تماماً كما يفعل الأتراك اليوم». والحقيقة أن معظم الحروب التي خاضها العثمانيون عبر تاريخهم، كانت ضد المسلمين في المقام الأول، كما هو الحال مع أسرة الخان، والدولة الصفوية، ودولة المماليك، كما تميز العثمانيون بالثأر، والحدق، وخيانة الحلفاء والأصدقاء. ولم تكن ثقافة التجهيل، وتدمير الحضارة مقتصرة على دولة دون الأخرى من الدول العربية التي احتلتها العثمانيون، بل إنها شملت الدول العربية جميعها التي عانت من الكابوس العثماني الطويل، ويصف الدكتور حسنين فوزي أستاذ علم المحيطات في كلية العلوم بجامعة الاسكندرية الاحتلال العثماني

الشعر والغموض...تتمة ص ٤

المقترنة بالموسيقا لخلق تركيب يعطي المتلقي لذة الإدراك الحدسي. وليس في هذا عودة بالشعر نحو الكلاسيكية، بل هي محاولة للخروج ببعض الشعر المعاصر من حالة التيهيم.. الفارغ، واللعب اللغوية التي لا تحكمها رؤية أو منطق.

الشعراء المعاصرين في متاهة التجريب استجابة لدواعي الحداثة - غالباً - قد أدى إلى نسف بناء نموذج أو نمط شعري يألوه المتلقي، ويعتاده، ويستسيغ سماعه.

كما أن دخول الكثير من الشعراء المعاصرين في اللعبة اللغوية، القائمة على الانزياح، بقصد خلق عوالم مدهشة، أو بقصد تضجير اللغة وحثها على أن تعطي، وتستجيب لوجيب القلب وغرائب اللاشعور، قد أدى إلى غموض الشعر واستغراقه، وعلى الأخص لدى بعض الشعراء الذين لا يحملون رؤية فكرية تدعم هذه اللعبة، وتنطق بها عن عمق وخبرة قادرة على إعطاء المتلقي نوعاً من الفهم، وتحترم خبراته وعقله.

ولا يخفى ميل الشعر المعاصر نحو خلق أجواء تشبه ما تخلقه الموسيقا المجردة من مشاعر، مثل الأسى أو الحزن أو الفرح أو النشوة، من دون تحديد معنى عقلي. وليس هذا من طبيعة الشعر الأولية التي قام الشعر عليها، والتي قامت على التقاء اللذة العقلية والوجدانية التي تنتج عن توصل العقل إلى تركيبات تمنحها الفكرة والكلمات

شاف.. يوحى " ولا يقرر.. فالزيتون رمز للخير والأمل.. ورمز من رموز فلسطين أيضاً، والإنسان الفلسطيني مصلوب فوق نار الأزمات والعذاب، والغربان التي استبدلتها الشاعر بالنسر في أسطورة " برومثيوس" سارق النار حتى توحى بالصهاينة.. الذين لا يلبق بهم رمز النسر.. والشتاء الذي يوحى بالأمل والحياة.. والماء التي تطفئ عذابات الفلسطيني لتصير الشتاءات ثورة.. تنزل الفلسطيني عن صليبه.. ليعود إلى وطنه نظيفاً طاهراً.

تبدو هنا مسحة الغموض. قدرة على البث والإيحاء.. بعيدة عن الفرق في رمز ذاتي مغلق، بل هي مجموعة من الرموز الموحية الشفافة فالغموض.. ناتج عن إدراك الشعراء بوعي كاف لطبيعة العملية الإبداعية التي تقوم على رؤية شاملة للوجود، تحاول نقل الكون بكل تعقيداته ليأتي الشعر مكتنفاً الغموض، الذي يخلق حالات وأجواء ولا يجسد معاني مباشرة وأفكاراً فقط.

لا بد من الإقرار بأن دخول الكثير من

ويجد المتلقي نفسه ينسحب مع الكلمات وإيحاءاتها من دون معنى معيناً. بل يبقى في إطار التخمينات التي تفتح أمامه مجالات عديدة للتأويل والفهم.

فالغموض في الشعر الحديث إذن ليس نقياً لبساطة أو السهولة، فثمة بساطة عميقة جوهر الشعر الحقيقي. وهي التي تمنح الشعر جماله وألقه وطراحة لغته وحميميتها....

يقول محمود درويش:

"من غابة الزيتون

جاء الصدى

وكنت مصلوباً على النار!

أقول للغربان: لا تنهني

فربما أرجع للدار

وربما تشتي السما

وربما..

تطفئ هذا الخشب الضاري!

أنزل يوماً عن صليبي

تري

كيف أعود حافياً.. عاري..؟ (6)

فثمة بساطة عميقة يجعلها غموض

بتلك القصيدة شامل المصفي...تتمة ص ١٠

ألوذ بخوفي بتلك القصيدة
وألمح وجهي بأبياتها
طرياً بهياً
كوجه نبي
وروحاً تلخص كل الجمال
فتبصر عيني بريق الحلي
أعود صبيحة
بتلك القصيدة
ويرضى غروري النسائي
وأنسى بأني مررت بعشرين عاماً مثبيراً سخي
وكنت بظلك أحلى يمامة
وكنت بظلي الإله القوي!

حتى ولادة عام جديدة
لتطرب أذني بتلك القصيدة
• • •
وأن أحس بأني أعيش خريف الحياة
تطوف بجفني دمة حزن
وتهمي حريقاً على وجنتي بغير إرادة
كأنني برحلة عمري بلغت خريف السعادة
وتسري بجسمي رعدة خوف
كأن الخريف بوجهي سيف!
فأجري... وأجري بكل التياغي
وأدفن وجهي بقلب الوسادة
ألوب بحزني
وأبش فيه بكل انسحاق
كعصفورة جائعة
تفتش في الثلج
عن بذرة واحدة

بتلك القصيدة
• • •
أمشط شعري ببيت صغير
وأزرع بيتاً هنا... خلف أذني
• • •
وما إن تدق لنا العاشرة
وتأتي لبيتي
ويبهرك ثوبي
فتهتف
تهتف
«كم أنت حلوة!»
فترضي الأوثة في داخلي
وتأخذ كفي بكفك غفوة
وأضي إليك بكل ثماري
فليلة حبي تساوي حياتي!
سأحيا بقربك

بدون انتظار جوابي
وصفق قلبي
كطفل أتاه أبوه بلعبة!
فأرمني المجلة
وأقفر جذلي لأختار ثوباً
يليق بفتنة نجمة سهرة!
أدمدم لحناً شجي الرنين
أحار... أحرار أمام ثيابي
أقلب هذا
ألبق ذلك
وأفطن...
أفطن أنك تهوى البنفسج
فأنهي اختياري بنوب شفيف يكشف صدري
بلون البنفسج
وأختار كحلي بلون البنفسج
وقرطاً يشابه تلك الفواصل

الأسبوع الأدبي

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام ١٩٨٦

المدير المسؤول:

د. نضال الصالح

رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيس التحرير:

أ. محمد حديفي

مدير التحرير:

د. حسن حميد

الهيئة الاستشارية:

أنيسة عبود. د. حمدي موصللي.

محمد حمدان. مريم خيربك.

د. نزار بني المرجة. نذير جعفر

هيئة التحرير:

د. سليم بركات. غسان كامل ونوس.

فادية غيبور. ليلى كيلاني.

د. يوسف جاد الحق

الإشراف الفني:

نضال فهيم عيسى

رئيس القسم الفني:

مهنا حسن

أ. محمد حديفي



من مقام الضقد



يحيا حياة قوامها الهدوء والاستقامة والاستقرار؟...
غداً وبعد أن نكنس من فوق ترابنا الوطني كل هؤلاء
الوحوش والقتلة، ونعيد لحياتنا بعضاً من عناصرها
الأساسية والضرورية في أن علينا أن نواجه وبشجاعة
تليق بشجاعة أبطالنا وشهدائنا ما صادفناه وما قد
نصادفه في القادم من الأيام، وهنا أجزم بأن تلك
المرحلة ستكون المرحلة الأقسى والأصعب، وهي
مرحلة إعادة البناء، وليس المقصود بالبناء هنا بناء
الحجر فحسب، وإنما المهم هو إعادة بناء الإنسان
الذي غيرته الحرب وبدلت قيمه، ما أدى إلى تغيير
جزئي أو كلي في سلوكياته، فتزعزع إيمانه بشروق
الشمس، وذهب في يأسه مذاهب شتى، حتى أنه
وفي كثير من الأحيان أثر النزوح من أرضه هرباً من
حصار قاتل وفوق ما يتحملة البشر حيث حوصر
بلقمة العيش وجرعة الماء، ولو استطاع الإرهاب أن
يصادر الهواء ويحجبه عن السوريين لفاعل...
إذاً معركةنا القادمة، وبعد أن نحرز النصر بإذن الله
ستكون معركة قاسية وشديدة الوطأة على عقولنا
واقتمادنا ومسارنا ونحن نعيد بناء الإنسان الذي
هو الأصعب والأعلى مسؤولية والأكثر خطورة، لأننا

هنا نتعامل مع كائن من لحم ودم، وخطابنا سيكون
موجهاً إلى عقله مع إدراكنا التام بأن مخاطبة العقول
والعمل على إصلاحها وترميمها سيكون قطعاً من
أصعب المهمات، لا بل وأخطرهما، وهنا يجدر القول
أن ذلك سيكون من أنبلها أيضاً...
إن نظرة عميقة ومتفحصة للمشهد الذي يمثل
أماننا الآن كافية لأن نكتشف بأن الحرب التي تشن
علينا زوراً وبهتاناً ماضية في الخراب والدمار والقتل
حتى آخر الشوط، وذلك لأن من يديرها وعلى الرغم من
كل ما يبذل من مال لشراء الضمائر والأسلحة الفتاكة
لم يستطع أن يحقق أهدافه القذرة حتى الآن، وهي
في مجملها واضحة وجلية ألقها قتل الشعب السوري
أو تشريده لتفريغ سورية من سكانها، ومصادرة
قرارها الوطني ومن ثم إزاحتها كعقبة كداء من
أمام الذين أسفروا عن وجوههم القبيحة، وارتعنوا
لإملاءات الغرب والكيان الصهيوني فخابوا حرباً
بالوكالة عن أسيادهم، والضحية هنا الأرض الطاهرة
والإنسان النقي، القابض على عربوته ومبادئه وكأنه
يقبض على الجمر...

لا شك بأن الكيان الصهيوني الآن يعيش أجمل
وأهدأ أيامه لأنه عرف كيف يستثمر الحرب على
سورية و لمصلحته العدوانية، ولأن السعودية
وبعض الحكام العرب باعوا كرامتهم وعروبتهم
وقدموا أموالهم التي جادت بها الأرض العربية
لشراء أسلحة الدمار والقتل من أجل قتل السوريين.
غداً وبعد أن نحرز النصر الكامل ونحرر الأرض
سنقول لقاتل أطفالنا لن نسامحك....

mouhammad.houdaifi@gmail.com

على قاب دمع وفقد وحنين، وعند أول شهقة
للضوء يسرجهما الصباح إلى مروج القرية الوداعة
ثمة سرب من العصافير المثقلة بالضوء يحط على
نصب من حجارة سود، ينام في ثراه الطاهر شهيد،
وفي المدى امرأة مهدلة الكتفين محنية الظهر
تتأبط صورة هي آخر ثروة لها في هذه الحياة،
تسير ودليلها عكاز يقود خطاها - إذ لا بصر يحدد
لها معالم الطريق، ولا قدما مؤهلتان لحمل هذا
الجسد الذي تعب وأتعب كل من حوله، لأنه أصبح
غير قادر على أن يلبي طموح القلب، أو تهويمات
الروح فمئذ عام ونيف لم تعد تجد السبيل إلى
السكينة والهدوء....

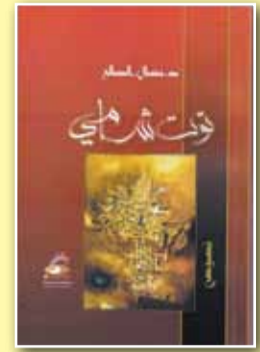
هناك شيد الحزن خيمته المحللة بالسواد، وعلى
مقربة منها ثمة ثلاثة أطفال يلثغون بأكثر الحروف،
ويهجعون خائفين، وقد تكسرت أجنحتهم بعد أن
سرق الإرهاب الأسود ابتساماتهم، وأحال حياتهم
إلى خوف ورعب وترقب لليل قد يجيء ممحلاً بكل
صنوف العذابات بعد أن غاب المرشد والدليل،
فغاب معه الأمن، وغابت الفرحة التي ما عرفوا منها
إلا القليل....

حين كنا نمرح سعداء في ببادر الطفولة حيث
البساطة والبراءة والنقاء، وحيث الأحلام الصغيرة
كان سقف حلمنا فراشاً دافئاً وصدراً حنوناً، وكانت
أيامنا على بساطتها مليئة بكل ما يبعث على
السعادة والفرح، إذ كان الكبار من معلمين ومربين
وأهل يقولون لنا: أنتم عماد المستقبل، كنا نسمع
هذه الجملة كثيراً، ولكننا لم نكن في تلك المرحلة
من طفولتنا ندرك ماذا كانت تعني، وحين تنامي
وعينا توسعت مداركنا بداننا ندرك أن من يؤسس
لمستقبله بطرق سليمة سيكون المستقبل طوع
يديه، وتكون حياته التي يحيا وارفة الظلال ودانية
القطوف....

قبل هذه الحرب الظالمة التي شنت علينا ظلماً
وتعسفاً وبهتاناً، وألقت بظلالها السوداء على كل
لحظة من لحظات حياتنا التي نعيش كنا كعرب
سوريين نباهي العالم بأمننا واستقرارنا ومجتمعنا
الفتي حيث كانت نسبة الشباب في مجتمعنا تمثل
ستين بالمائة من سكان سورية، ومعظمهم مبدعون
في مجالات الحياة كافة، لدرجة أن كثيرين منهم
أذهل العالم بإبداعاته وعطاءاته وخلقه....

لم يرق هذا كله لأعداء الحضارة وأعداء الإنسان،
فتنادت كل قوى الشر في هذا العالم ووحدت
جهودها وسخرت أموالها الطائلة لتقتل الفرحة في
نفوس أطفالنا، وتسرق الابتسامة من على شفاههم،
وتدفع بهم إلى مستقبل مجهول - إذ كيف لطفل
رأى بأم عينيه كل هذا القتل وكل هذه الوحشية،
أن يكون مستقراً متوازناً في داخله؟، وكيف له أن

توت شامي .. كتابة ب ذوب الروح!



في حالات الفزع والحرب، وليس الفزع
سوى الحرب، وليست الحرب سوى الفزع،
يهب أهل الرأي والتعبير، وقد اختلطت
الألوان، وضاعت الجهات، وتكاثر أهل
الضعف والخوار.. بالمناداة العالية: أن
تسمو القيم، وتتوهج المعاني، وأن تصير
الدنيا هي البلاد، وأن تصير حمايتها
أولوية الأولويات، وأن يصير الضداء رتبة
المجد، وأن تتجلى دروب الوطنية كالبيارق
نشداً للحق من جهة، ودفعاً للباطل من
جهة أخرى!

تقول هذا، ونحن نقرأ كتاب الدكتور
نضال الصالح الجديد (توت شامي) الصادر
حديثاً عن دار الشرق في دمشق (2016)،
لأن نوصيه مرايا وطنية، وأناشيد تحف
بالبطولة والأبطال، ومدونة للقيم التي
تتغنى بالأرض، والتاريخ، والإنسان،
والسيادة، والراهن، والمستقبل.

إنها نصوص محتشدة بالأمكنة،
والأزمنة، والأحداث، والأخبار التي حقت
لها سنوات الحرب الخمس الماضية بكل ما
فيها من مرارة، ووجع، وألم، وفقد، وأحزان
مدلهمات كالسواد، فلا يبيض فيها، ولا ألوان
راهجة سوى الحضورين: حضور الشعب،
وحضور المدافعين عنه، إنها جهة الرؤية،
والأمل، والبقاء، والخلص، والديمومة،
والتعاقب الأبدى مع التاريخ، والعمران.

في النصوص تتراصد المفردات والموسيقا،
والأرض، والناس، والحرب، والبيض،
والجدود، والشجرة، والخضرة، والماء
والسماء، والأغاني، والبيوت، والساحات،
والأحياء، والحارات، والعشق، والانتظار،
والمواعيد، والمساعات، والصباحات،
والأشواق، والعصافير، والأناشيد،
والنجوم.. مما يشكل معجماً لغوياً ألسنياً
مرفوعاً لحضرة بلاد.. اسمها سورية!

نصوص (توت شامي) مكتوبة بأسطر
حارقة إلى حد التوهج، وهي ممثلة
بالحضور، والجمال، والبهاء، واللغة
الراقية، والمعاني المفردة الخاصة بنضال
الصالح. إنها الكتابة الوثيقة الحاضرة
لدمع الأمكنة والأزمنة من جهة، ولدم
الشهداء حماة سورية من جهة أخرى!

نحو مئة شخصية ثقافية عربية تصدر بياناً تضامنياً مع سورية

تتمة..... ص ١

الدمار التي يمتلكها تجار الحروب والمنتفعين
من إهدار دم الشعب السوري على مدى خمس
سنوات، كما فعلت مع الشعب العراقي، حينما
نادت بالديمقراطية وحقوق الإنسان والطفل
والمرأة.

سورية آخر معقل في القتال ضد الصهيونية
وكيانها المسخ، أيها السوريون الأصلاء إن نار
الفتنة لن تحمد أو تموت ما لم يتحد الشعب
بأجمعه للوقوف بوجه هذه الهجمة. إننا
نؤكد تضامنتنا مع شعبنا السوري الواحد
الأصيل، وتبقى سورية قلعة العرب وقلعها
الناضب بالحب والإيمان.

التراب السوري. كما تؤكد: أن الشعب السوري
هو من يقرر مستقبل سورية، وهو من يضع
السياسة العلمية لصياغة دستور جديد. ندعو
للوقوف مع سورية بمدنها العريقة، دمشق
وحلب واللاذقية.. ومع شعبها الصامد الذي
يعيش مأساة الموت البطيء، كما ندعو شعبنا
السوري إلى التمسك بثوابته الوطنية،
ووحدة التراب السوري، ونبت كل أشكال
الفرقة والتطرف، لأن قوى الظلام تريد
إخضاعه لإرادتها، وإرغامه على تنفيذ
المخطط الصهيوني البغيض بعد أن تكالبت
على الأمة كل وحوش الأرض وكل أدوات

والترهيب والحفاظ على ما تبقى من عقب
التاريخ وراث الأمة وذاكرتها.. وندعو إلى
نبذ العنف واللجوء إلى الحوار الوطني
الصادق الأمين. ونطالب المجتمع الدولي
والأمم المتحدة باتخاذ خطوات فورية لتأمين
وقف الأعمال العدائية، ووقف القصف
والقتل وأي تدمير وتهديم لمعالم مدينة
حلب وكل مدن سورية، وتهيئة الظروف
المناسبة لعودة المهجرين إلى مدنها بطريقة
آمنة. ونؤكد وقوفنا مع شعبنا في سورية كل
شعبنا، وأن بناى هذا الشعب العريق عن كل
أشكال الفتنة والتقسيم والتمسك بوحدة

أو طرف على حساب شعب كامل وتاريخ
وحضارة، وفي الوقت ذاته.. نرى متقضين
آخرين يتبارون بإشعال الحرائق وينظرون
إلى نصف المشهد في مسرح الأحداث، وإلى
زوايا معتمة منه لوجب الحقائق بعبارات
(رفض وإدانة وتجريم وتخوين وتكفير) وما
إلى ذلك من أساليب خلط الأوراق وتزوير
الحقائق. ونأسف لهذا التعطيم وتضبيب
الرؤية. لسنا هنا مدافعين عن جهة ما أو طرف
على حساب أطراف.. نحن نقف بحزم ومحبة
للدفاع عن سورية كلها شعباً وتاريخاً وحضارة
ونطالب بوقف أعمال العنف والقصف والقتل